الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبو بكر بلقايد
UNIVERSITÉ DE TLEMCEN

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: نقد أدبي حديث ومعاصر
رمز المذكرة:.....

الموضوع:

القيم الخلقية في شعر الطفولة الجزائرية

إعداد الطالب (ة):
داود كوثر

إشراف:
أ. د. محمد مرتاض

لجنة المناقشة			
حسين فارسي	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيساً
فتيحة بن يحي	أستاذ محاضر	جامعة تلمسان	مناقشا
محمد مرتاض	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مشرفا ومقرّراً

العام الجامعي :1440-1441 هـ /2019 – 2020 م

بسم الله الرحمن الرحيم

اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ
وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ
وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ
وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ
وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ فَإِنَّكَ
تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ
وَإِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ
وَلَا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ ،
تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ

كلمـة شكـــر

إنّه لمن الواجب عليّ أن أتقدّم بجزيل الشّكر لأساتذتي الكرام

الذين رافقوني في مشواري الجامعي منذ بدايته

وبالأخصّ أستاذي الفاضل الدّكتور "محمد مرتاض" الذي

حبّبني أكثر بهذا الأدب، فله منّي فائق التّقدير والاحترام.

وإلى الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة والتّصحيح، الذين

سيتكبّدون عناء تقييم هذه الدّراسة.

إهـــــداء

إلى أمي حبيبتي الغالية رفيقة دربي ومرشدتي

إلى أبي الغالي الذي سهّل لي سبل مواصلة العلم

وإخوتي الأعزّاء براعم العائلة الندية...

إلى كل طالب علم يحلم بتحقيق المزيد...

أهدي هذا الجهد المتواضع...

مقدمة

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسولنا الكريم محمد المصطفى طه الأمين ـصلّى الله عليه وسلّمـ إنّ الحمد لله نحمده ونستعين به ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا، والحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أمّا بعد:

فإنّ البحث في موضوع الأخلاق يتطلّب عناءً كبيراً وجُهداً جهيداً، لأنّ الحاجة الماسّة للأخلاق في المجتمعات تستوجب دراسة معمّقة وبحثاً يدرس أسباب ضياعها والعزوف عنها. فإذا ضاعت الأخلاق ولم تعد من شيم الكبار، فكيف للصّغار أن يكونوا؟ وكيف ننتظر من هذا الجيل النّاشئ أن يتحلّى بأسمى الأخلاق وأحسنها وليس له من يرشده ويعلّمه إيّاها؟ لا بدّ من توسيع نطاق الدّراسات لِتَطَال هذا الموضوع الجدير بمعالجته.

إذ إنّ التّغاضي عن هذا الموضوع الحسّاس داخل المجتمع، يُعدُّ استهتاراً يجرف صاحبه إلى ما لا يحمد عقباه، فتَضيع الحقوق وتُنسى الواجبات ويندثر معنى الإنسانية وتُخلق فوضى تُشعل نار الحقد بين الآخرين، وهذا راجع لضعف الوازع الدّيني فهجران القرآن الكريم وعدم اتّباع هدي النبيّ صلّى الله عليه وسلّم والتّغافل عن تطبيق تعاليم الدّين الإسلاميّ السّمحة، هذا لا محالة يؤدّي إلى الانحلال الخلقيّ، الذي تكون نتائجه كارثيّة على الأُمّة جمعاء دون استثناء.

رغم اختلاف الأديان والمعتقدات، إلاّ إنّ الأخلاق والقيم تبقى مشتركة بين جميع أجناس البشرية حيث أنّها المحرّك الأساس في هذه الحياة فانعدام الأخلاق بين البشر يخلق عالماً ثانٍ يماثل عالم الحيوان الذي لا عقل ولا قواعد تضبطه. فالعالم اليوم يشهد اهتماماً كبيرا بكلّ المجالات وعلى اختلافها ما عدا الأخلاق التي هي رمز الحضارة وأساسها؛ التي تضمن للإنسان العيش الكريم الذي يحفظ له حقوقه ويلتزم فيه بواجباته تُجاه غيره.

هذه القيم والأخلاق لم تجد حضناً يأويها في هذا الزّمان، خصوصا الأمّة الإسلامية التي هي أصلٌ للأخلاق، فقد جاء رسولها الكريم صلّى الله عليه وسلّم ليُتمِّمها ويؤكّد على أهميتها بعد أن ضاعت بين الأمم الأخرى، وها هو اليوم الذي انقلبت فيه الموازين بعدما تكالبت عليها الأمم، صارت أمّة الأخلاق تقتدي بمن كانوا أراذل الأقوام، بعدما كانت أمّة يبلغ شأنها عَنان السّماء.

وصار لزاماً، على كلّ فرد من أفراد المجتمع المسلم أن يصلح من نفسه –لأنّ الله عزّ وجلّ شأنه لا يغيّر من تصرّفات العبد إلاّ إذا أراد العبد لنفسه إصلاحاً، فإذا أدرك الإنسان ما فاته من تقصير نحو دينه وخُلُقه فسيُعينه المولى تبارك وتعالى على ذكره وشكره وحسن عبادته لأنّ الأصل في التّغيير النيّة الصّالحة–فإصلاح النّفس سبيلٌ يسيرٌ لإصلاح المجتمع ككلّ وتربية نشءٍ يعي تعاليم دينه بحبّ ورغبة شديدة في استكشاف هذا الدّين القيّم.

ومن دواعي الاهتمام بهذا الموضوع؛

ذاتياً:

- الحبّ الشّديد لعالم الطّفولة عالم البراءة.
- الاطّلاع على المؤلّفات الموجّهة للأطفال.
- الرّغبة في استكشاف واستبطان هذا العالم الذي لا يضاهيه أيّ عالم آخر.
- ضياع القيم والأخلاق في المجتمع العربيّ الإسلاميّ.
- محاولة لفت الانتباه لهذا الموضوع الهامّ والحسّاس من خلال ابراز أهميّة الأخلاق ودورها في زمن ضياعها.

موضوعيّاً:

- وفرة المصادر والمراجع التي تعالج موضوع الأخلاق والقيم.
- تقديم صورة واضحة عن أدب الأطفال في الجزائر وروّاده من أمثال: " مصطفى الغماريّ، بوزيد حرز الله، يحي مسعودي، محمّد ناصر".
- ندرة البحث والاهتمام بهذا الموضوع الجدير بالدّراسة والتّحليل.
- تشجيع الطّلبة على البحث في هكذا موضوعات.
- محاولة تسليط الضّوء على القيم الخلقية المبثوثة في شعر الطّفولة الجزائريّة.

وعلى هذا الأساس، تُطرح بعض التّساؤلات للوصول في نهاية المطاف إلى نتائج وأجوبة تكوّن فكرة بيّنة عن هذا الموضوع الذي لم يلق دراسات مكثّفة تُبرز قيمته الجوهريّة ولبّه الثّريّ، وهي على النّحو الآتي:

1. ما المقصود بأدب الأطفال والقيم الخلقية؟
2. فيما تتمثّل أهمية القيم والأخلاق؟ وما الدّور الذي تلعبه في حياة النّشء؟
3. ماهي أبرز القيم الخلقية المبثوثة في شعر الأطفال؟
4. فيما تكمن أهمية الشّعر ودوره؟ وما مدى تأثيره في الطّفولة؟
5. ما الذي يميّز شعر الطّفولة الجزائرية؟ وما هي موضوعاته؟

والإشكالية التي يتمحور حولها هذا الموضوع، تتمثّل في:

ما الهدف من كتابة هذا الشّعر للطّفل؟ وهل له صدى وتأثير في الطفل؟ وما هو نصيب القيم الخلقية منه؟

وليس هناك دراسات أو بحوث مسبقة كثيرة، وإنّما تُعدُّ على الأصابع منها:

"القيم في شعر الطّفل" ديوان أناشيد وأغاني الأطفال لمحمد الأخضر السّائحي-أنموذجا _ مذكّرة تخرّج لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي –تخصص: أدب جزائري –من إعداد الطالبتين: فتيحة مرجان/ حفصة ناصري، تحت إشراف: "عبد الله كرّوم"، جامعة أدرار، العام الجامعي: 1438هـ/ 1439هـ-2017م/2018م.

القيم السلوكية لدى طلبة المرحلتين المتوسطة والثانوية في دول الخليج العربية لمحمود عطا حسين عقل _ الرياض _ مكتب التربية العربي لدول الخليج _ ب. ط _ 1422هـ / 2001م.

القيم والعادات الاجتماعية _ القاهرة/ مصر _ دار الكتاب العربيّ للطّباعة والنّشر _ ب. ط _ 1966م.

القيم وطرق تدريسها في الدراسات الاجتماعية _ الرياض/ السعودية _ مجلة جامعة الملك سعود _ العلوم التربوية والدّراسات الإسلامية _ المجلّد 9 _ 1417هـ/ 1996م.

وقد اتبعت المنهج الوصفي قصد التحدّث عن الظاهرة وتحليلها ووصفها بالاستعانة بالأداة الإجرائية التحليلية، من خلال تقسيم البحث إلى فصلين: الأوّل نظري والثّاني تطبيقي.

واستهللت هذه الدّراسة المتواضعة بمدخل عرضت فيه لمحة تعريفية بأدب الطّفولة والقيم الخلقية، والمفاهيم التي تعدّدت وتنوّعت من أديب إلى آخر وهنا كثُرت المصادر والمراجع التي عالجت هذا المفهوم الغنيّ في معناه والقيِّم في فحواه. ثمّ قسّمت البحث إلى فصلين اثنين بعد مقدّمة ومدخل ثمّ خاتمة حاولت من خلالها استخلاص مجمل نتائج البحث.

ففي الفصل الأوّل أدرجت أهميّة القيم والأخلاق ودورها في تنمية الشّخصية وقد قسّمته إلى مبحثين: المبحث الأوّل وفيه أهميّة القيم والأخلاق أمّا المبحث الثّاني المعنون بأنواع القيم المتضمّنة في شعر الأطفال –مع ذكر نماذج شعرية متنوعة-

أمّا الفصل الثّاني فخصّصته لأهمية الشّعر ودوره في اكتساب القيم والأخلاق كذلك قسّمته إلى مبحثين: المبحث الأوّل حول أهميّة الشّعر ودوره أمّا المبحث الثّاني جعلته لمميّزات شعر الطّفولة الجزائريّة.

وبما أنّني بحثت عن المصادر والمراجع سنة قبل بداية هذا البحث، لم ألق صعوبات كثيرة في البحث رغم قلّة مصادر أدب الأطفال مقارنة بالموضوعات الأخرى. لكنّ البحث الدّائم والمطوّل دون كلل أو ملل يُعطي ثماره رغماً عنه. ومن المصادر التّي اعتمدت عليها بكثرة وساندتني في بحثي هذا:

"الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري" و "من قضايا أدب الأطفال دراسة تاريخية فنية" للأستاذ الدّكتور "محمد مرتاض"، دار هومه، الجزائر، 2015.

وكذلك استعنت بـ "ديوان الطّفل العربي" لأحمد سويلم، الدّار الثّقافية للنّشر، مصر، 2016.

وفي ختام هذه المقدمة، يشرفني أن يكون أستاذي الدّكتور "محمد مرتاض" مشرفا على هذا الإنجاز، وجزاه الله خير الجزاء في الدنيا والآخرة.

17 رمضان 1441هـ

10 ماي 2020م

داود كوثر

والحمد لله الذي بفضله تتمّ الصّالحات

المدخل

لمحة تعريفية بأدب الطفولة والقيم الخلقية

إنّ الحديث عن الطفولة حديث عن براءة النّفس وطهارة السريرة، فَهُمْ عبارة عن صفحة بيضاء يمكن كتابة أيّ شيء عليها، وانطلاقاً من هذا السّياق، يجب الالتفات إلى الإنتاج الأدبيّ الموجّه إليهم _ لعلّه_ موضوع جدير بالدّراسة والتّحليل، فالاهتمام بهذا الأدب لم يكن وليد اليوم بل هو قديمٌ قِدَمَ الوجود الإنسانيّ، ولكن مرحلة التدوين كانت متأخرة لأنّه كان _ في بادئ الأمر _ شفوياً، فاستمرّ عن طريق الحكاية من جيل إلى آخر.

وأوّل من التفت إلى تدوينه هم الغرب، لينتقل بعد ذلك إلى البلاد العربيّة ويمثّله "كامل الكيلاني" رائد أدب الطفولة في نتاجه الأدبيّ، ثمّ لينتشر بعدها في جميع أنحاء الوطن العربيّ بما فيها الجزائر، ورغم الجهود التي بذلها الأدباء، فإنّه لم يحظ بمكانة تليق بقدره ولكنّهم مثّلوه حقّ تمثيله، منهم: محمّد العيد آل خليفة، محمّد بن العابد الجيلالي، وجمال الطّاهري...وهلمّ جرًّا.

وعلى هذا الأساس، فإنّه لا بدّ من الإشارة إلى مفهوم هذا الأدب الذي تعدّدت مفاهيمه من أديب إلى آخر، يقول "أحمد زلط" إنّ أدب الطّفولة «هو ذلك النّوع الأدبيّ المستحدث من جنس الكبار، بحيث يراعي المبدع المستويات اللغوية والإدراكيّة للطّفل، ومن ثمّ يرقى بلغتهم وخيالاتهم ومعارفهم واندماجهم مع الحياة»[1].

وبناء على هذا القول، ينبغي الإشارة إلى أن هذا الأدب مستوحى من أدب الكبار، إلاّ أنّ أدب الأطفال يجب أن تتوافر فيه شروط تتلاءم وعقل "المتلقي الصغير"[2] ومدى استيعابه لها.

ونجد "عبد اللّطيف الصّوفي" يقترب من مفهوم "أحمد زلط"، حين يُعرِّف أدب الطّفل بقوله: «هو الإنتاج الفكريّ الذي يُناسب الأطفال ويُساعدُهُم على النموّ العقليّ واللّغويّ والأدبيّ والوجداني ويُغذّي فيهم الإحساس بالتذوّق الفنّي والجماليّ»[3].

[1]/ أحمد زلط، «أدب الطفولة بين كامل الكيلاني ومحمد الهراوي»، دار الفكر، مصر، 1994م، ص30.

[2]/ محمد مرتاض، «الموضوعاتيّة في شعر الطفولة الجزائري»، دار هومه، الجزائر، 2015م، ص13.

[3]/ عبد اللّطيف الصّوفي، «فنّ القراءة، أهميّتها، مستوياتها، مهاراتها، أنواعها»، دار الفكر، سوريا، 2008م، ص121.

ومن الملاحظ أنّ هذه المفاهيم تصبُّ في مَصَبٍّ واحدٍ؛ وهو التّأثير النّفسي، العقليّ والوجداني لهذا الأدب على الطّفل، وحتّى يقع هذا التّأثير لا بدّ من موهبة مصقولة ومعرفة واسعة بالقواعد والضّوابط الّتي يرتكز عليها هذا العمل الأدبيّ الذي يتطلّب جُهداً لا يُستهان به، لأنّهُ عمليّة إبداعيّة تهدفُ إلى الإمتاعِ والإفادةِ، والأهمّ ترك أثرٍ خالِدٍ في نفسيّة المتلقّي لأنّه أدب يحمل في ثناياه رسائل ذات مغزى، ويسعى لتنميّة الشّخصية وغرس الصّفات الحميدة في نفوس الصّغار.

وهنا تجدر الإشارة إلى أنّ «أدب الأطفال يُمثّل جانباً كبيراً من الثّقافة وأثره على الطّفل _لا شكّ_ عميق يتغلغل في نفسه وعقله وقلبه»[1]، ويقصد "محمد بسام" بالثّقافة التي تعبّر عن خصائص وعقليّات المجتمعات على اختلافها، وفي المقابل يرى "أمل دكّاك" أنّ هذا الأدب «يمثّل جانباً هامّاً من جوانب التّنشئة الاجتماعيّة»[2]؛ والمقصود أنّ أدب الطفولة يشكّل عاملاً أساساً من عوامل التربيّة والتّوعيّة _في آن واحد_ المساعدة في غرس القيم النّبيلة والخصال الحميدة التي ترسخ في الأذهان على مرّ الأزمان.

إنّ رقيّ الأمم لا يكون إلاّ بالقيم التي تُعلي من القدر وترفع من الشّأن، لهذا لا بدّ الالتفات إلى هذه القيم التي تُغرس في نفوس النّاشئة منذ الصّغر، والتي من خلالها يتسنّى للمرء أن يصنع لنفسه مكانة قيّمة وسط مجتمعه، ليُثبِت وجوده عن طريقها ككائن بشري يُحكِّم عقلَه، ومصطلح القيم بدوره عرف مفاهيم عديدة تُعرِب عن معناه الجوهريّ، ففي "المعجم الوسيط" نجد لفظة:

القيمة: قيمة الشيء قدره، وقيمة المتاع ثمنه.[3]

وفي "معجم اللغة العربية المعاصرة" لأحمد مختار عمر:

[1]/ محمّد بسام ملص، «في أدب الأطفال، رؤية الحاضر وبصيرة المستقبل»، كتاب الأمّة، قطر، العدد 109، 2005م، ص33.
[2]/ أمل حمدي دكّاك، «القصّة في مجلّات الأطفال»، الهيئة العامّة السورية للكتّاب، سوريا، 2012م، ص19.
[3]/ مجمع اللغة العربيّة، «المعجم الوسيط»، ط2، ج2، مصر، 1985م، ص798.

قيّم العمل: قدّر قيمته، قيّم جهوده ومنه؛ قيّم الموقف/ شخصاً/ الأضرار.[1] وهذه التعريفات من حيث اللّغة.

أمّا في الاصطلاح، فقد اختلفت مفاهيمه وتعدّدت؛ ففي "معجم المصطلحات العربية في اللّغة الأدب" يُعرِّف كلّ من "مجدي وهبة" و"كامل المهندس" القيمة على أنّها: «هي ما يُعلّق عليه الإنسان أو مجموعة من النّاس أهميّة كبرى من حيث قابليّته ليكون مبدأ من مبادئ السّلوك الأخلاقي»[2]، وهنا القيمة بمثابة أساس من أسس السّلوك والتي تكون معياراً يُقاس عليه مدى استقامة هذا السّلوك وسلامته. ويذكر "مخلوف" في كتابه "كلمات القرآن" مفسّراً قوله تعالى:﴿ **ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ** ﴾أي المستقيم الذي لا اعوجاج فيه.[3]

وتبعاً للمفاهيم السّالفة الذّكر، يُعرِّف "أحمد بركات" بأنّها: «مجموعة من القوانين والمقاييس تنشأ في جماعة ما، ويتّخذون منها معايير للحكم على الأعمال والأفعال الماديّة والمعنوية، وتكون لها صفة الالزام والضّرورة العموميّة، أَيُّ خروجٍ عليها أو انحراف على اتّجاهاتها يصبح خروجاً عن مبادئ الجماعة وأهدافها ومُثُلِها العُليا»[4]. هذا المفهوم شامل نوعاً ما، بحيث إنّ القيم يصطلح عليها الجماعة، فيجعلونها ميزاناً للحكم ولإبداء الرّأي حول الخروقات التي قد تَحْدُثُ سهواً أو عمداً من قبل أفراد المجتمع، وهذه القيم يكون من الواجب _على كلّ فرد_ التّحلي بها، وفي حالة عدم الامتثال لها يُعْتَبَر خروجاً وعزوفاً عن القواعد التي سَنَّتها الجماعة.

[1]/ أحمد مختار عمر، «معجم اللغة العربية المعاصرة»، عالم الكتب، مصر، المجلّد 1، 2008م، ص1886.

[2]/ مجدي وهبة، كامل المهندس، «معجم المصطلحات العربية في اللغة الأدب»، مكتبة لبنان، لبنان، ط2، 1984م، ص301.

[3]/ حسين مخلوف، «كلمات القرآن تفسير وبيان»، مكتبة أيوب، نيجيريا، 2000م، ص104.

[4]/ أحمد لطفي بركات، «في فلسفة التربية»، دار المريخ للنشر، الرياض/السعودية، 1986م، ص250.

يقول أحمد شوقي:

وَإِنَّمَا الأُمَمُ الأَخْلاَقُ مَا بَقِيَتْ فَإِنْ هُمْ ذَهَبَتْ أَخْلاَقُهُمْ ذَهَبُوا[1]

وبناءً على هذا القول الشّعري، الذي يرتكز في جوهره على مصطلح الخُلُق، يتوجّب التّطرق إلى مفهومه اللغوي والاصطلاحي، فعلى المستوى اللغوي يُحدِّدُ "الفيروزآبادي" في "القاموس المحيط" بقوله: «الخُلُق بالضمّ، وبضُمّتين: السّجية والطّبع والمروءة والدّين»[2]. حسب مفهوم الفيروزآبادي يتبيّن أنّه حصر الخُلُق في أربع صفات جامعة وشاملة لحياة الإنسان، في حين أنّ "ابن منظور" يُعرِّف الخُلُق في قوله: «الخُلُق هو الصّورة الباطنيّة للمرء»[3]؛ ويقصد الأفعال والتّصرفات غير الظاهرة للإنسان، كالصفات الحميدة (النيّة الحسنة، حبّ الخير للآخرين...) أو كالصّفات الذّميمة (الحقد، الحسد، الغيرة والضّغينة...)

أمّا "الرّاغب الأصفهاني" فقرّب الصّورة وبيّن الفرق في اللّفظة بين النّصب والرّفع، في قوله: «والخَلْق والخُلق في الأصل واحد، كالشَّرْب والشُّرب، والصَّرْم والصُّرم، ولكن خُصّ الخَلْق بالهيئات والأشكال والصّور المدرَكة بالبصر، وخُصّ الخُلُق بالقوى والسّجايا المدرَكة بالبصيرة»[4]. أَمَّا "أبو حامد الغزاليّ" فيرى أنّ «الخُلُق عبارة عن هيئة في النّفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر ورويّة»[5]. والمقصود من قول الغزاليّ أنّ الخُلُق يكون مطبوعاً في نفس المرء، فلا يحتاج إلى تفكير بل يكون عفويّاً وتلقائياً دون سابقة تخطيط، أي إنّ الخُلُق يُعبِّر عن كُنْهِ الشّخص ومدى تصرُّفه سواءٌ أكان حسناً أم قبيحاً.

---

[1]/ أحمد شوقي، «الشّوقيات»، دار العودة، لبنان، ج1، 1988م، ص12.

[2]/ الفيروزآبادي، «القاموس المحيط»، دار الفكر، لبنان، د.ت، ص793.

[3]/ ينظر: ابن منظور، «لسان العرب»، دار صادر، لبنان، د.ت، ص86.

[4]/ الرّاغب الأصفهاني، «مفردات ألفاظ القرآن»، دار القلم، سوريا، د.ت، ص297.

[5]/ أبو حامد الغزاليّ، «إحياء علوم الدّين»، إحياء التراث، د.ت، ص279.

ورغم اختلاف العلماء في تحديد مفهوم مركّز حول مصطلح الخُلُق، فإنّ المفاهيم كلّها تبقى متقاربة _ نوعاً ما_ فيما بينها، "الطّاهر بن عاشور" اقترب من مفاهيم الفيروزآبادي وابن منظور حين حاول ضبط مفهوم الخُلُق يقول: «الخُلُق بضمّتين، فهو السّجية المتمكنة في النّفس باعثة على عمل يناسبها من خير أو شر، وقد فُسِّر بالقوى النّفسية وهو تفسير قاصر فيشمل طبائع الخير وطبائع الشرّ، فيُقال خُلُق حسن ويُقال في ضدّه سوء الخُلُق أو خُلُق ذميم...»[1]. وقال «الخُلُقُ في اصطلاح الحكماء: مَلَكَةٌ»[2]، ويقصد بها الفطرة التي فطر الله عليها عباده.

وخير مثال يضرب على الأخلاق، هو عظيم الأمّة الذي على عرش الأخلاق استوى، يقول تبارك وتعالى في كتابه العزيز:﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾*، فالرّسول صلّى الله عليه وسلّم يمثّل تمام الأخلاق وكمالها، لهذا يستوجب الامتثال لوصايا الرّسول الكريم وسيرته العطرة، أو لم يكن القائل: «إنّما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق»، وهنا تجدر الإشارة إلى أنّ الأخلاق كانت موجودة سَلَفاً، لكن الحبيب المصطفى جاء قصد تبيانها والتّأكيد عليها للبشريّة جمعاء، والإشارة إلى أهميتها ودورها في رُقيّ الأمم، فطه المختار قد سما بأخلاقه وارتفع شأنه بمعاملته الحسنة، فلولا خُلُقُهُ لما ظلّ يتردّد في الأسماع ويصدح في الأصقاع لأكثر من أربعة عشر قرناً على مرّ الأزمان.

إنّ الإنسان مهما اختلف عن أقرانه؛ من حيث مستواه الفكريّ والثّقافي والاجتماعي فإنّه لا بدّ له التحلّي بالقيم والمثل العليا، لأنّ الإنسان إنسان بخُلُقِه لا بماله وجبروته. وهذا ما أثبتته "قصيدة الحكم" لأبي الفتح السّبتي في قوله:

---

[1]/ ينظر: الطّاهر بن عاشور، «التحرير والتنوير»، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، د.ت، ص171.

[2]/ المرجع نفسه، ص172.

* القرآن الكريم، سورة القلم، الآية 04.

أَقْبِلْ عَلَى النَّفْسِ وَاسْتَكْمِلْ فَضَائِلَهَا فَأَنْتَ بِالنَّفْسِ لاَ بِالجِسْم إِنْسَانُ[1]

فالأخلاق هي مفتاح التّميز وسرّ رفعة الشّأن، وهي من ترفع قدر المرء أو تحُطّه، واتّباعا لهذا القول، قول "مارتن لوثر" الذي يَعُدُّ الأخلاق سرّاً من أسرار سعادة الأمم ورقيّها وقوّتها، «إنّ سعادة الأمم لا تتوقّف على كثرة دَخْلِهَا ولا على قوّة حصونها أو جمال مبانيها العامّة، ولكنّها تتوقّف على عددٍ من المثقّفين من أبنائها، وعلى رجال التربيّة والعلم والأخلاق فيها»[2]. وانطلاقاً من المفاهيم السّابقة، صار لزاماً ذكر مفهوم موحّد للقيم الخلقية وهي نوع من أنواع القيم، يعرّفها "هارون عمّار" بأنّها «مجموعة من المبادئ والقواعد العامّة، التي تُوجّه السّلوك البشري داخل المجتمع نحو تحقيق ما يُعتقد أنّه الخير، وتجنّب ما يُنظَر إليه على أنّه يُجسّد الشرّ، وتستهدف القيم الخلقية في مُحصّلتِها النّهائية تحسين العلاقات بين البشر، وإعطاء لحياة البشرية معنى يساعد على الحفاظ عل قدر من التماسك الاجتماعي، بالرّغم من وجود الفوارق والتناقضات، داخل المجتمعات البشريّة وبينها»[3]. ويُعرّفها "محمد الخطيب" بإضافة الرؤية الإسلامية أي الصبغة الدينية في قوله: «هي المعايير والموازين الموجّهة لحركة الإنسان، والضابطة والحاكمة للفعل الحضاريّ بكل تنوّعاته وامتداداته، وفق رؤية الإسلام ومقاصده»[4]، ويعني بقوله أنّ القيم الخلقية هي الموجه الأساس للسلوك الإنساني، وعن طريقها يمكن الحكم على أفعال الشّخص ومدى ثقافته وتحضّره.

وعلى هذا الأساس، يتبيّن أنّ الأمم ترقى برقيّ مبادئها وقيمها والأخلاق التي تربّى عليها أبناؤها، فهذه القيم متعارف عليها، ربّ الكون أصى بها ومبعوث الأمّة سيّد الخلق جاء من أجل

---

[1]/ أبي الفتح السّبتي، «عنوان الحكم»، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلاميّة، سوريا، ط1، 1984م، ص36.

[2]/ محمّد عطية الإبراشي، «روح التربية والتعليم»، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط11، 1966م، ص71.

[3]/ هارون عمار، «القيم الأخلاقية وحقوق الإنسان»، نقلا عن: جدل العلاقة بين الأخلاق والسياسة، أكرم البني، 2007م، ص11.

[4]/ محمّد عبد الفتاح الخطيب، «القيم الأخلاقية في الإسلام»، دار البصائر، مصر، 1432هـ/2011م، ص48.

إتمامها والتّركيز على أهمّيتها، لهذا كلّ فرد في المجتمع مسؤول ومعني باتّباع قيم الأنبياء والخلفاء الرّاشدين والصّالحين، حتّى يكون خير خلف لخير سلف.

لقد كُنَّا وما زلنا وسنبقى خير أمّة أُخرِجتْ للنّاس، بأخلاقنا وقيمنا ومبادئنا التي غُرِسَتْ فينا منذ الصّغر وسنظلّ نربّي النشء عليها، لأنّ أزمة العصر هي أزمة أخلاق وقيم كادت تنعدم في هذا الزّمن الرّهيب، وعلى هذا الأساس، صارت مهمّة أدب الأطفال غرس هذه الأخلاق والقيم من خلال نِتاجاته الهادفة والتي تكون ــ في غالب الأمر ــ رسائل تربويّة.

الفصل الأول

أهميةُ القيمِ والأخلاقِ ودورها في تنمية الشخصية

المبحث الأوّل: أهميةُ القيمِ والأخلاقِ:

إنَّ موضوعَ القيمِ موضوعٌ في غايةِ الأهمية، ورغمَ مكانتِه الجليلةِ ومنزلتِه الهامّةِ؛ فإنَّه يشُقُّ على معلّمِه أو ملقّنِه أَنْ يغرسَها في نفوسِ النّاشئَة، فهُو ليس بالأمر الهيِّن بل يتطلّبُ الصّبر والأناة مع المتلقّي الصّغير.

وبما أنَّ القيمَ مرتبطةٌ بالإدراكِ ــ أي أنّ الطفل لا يمكنه الاستيعاب دون سنّ السّابعة ــ فلا بدّ للمسؤول عن هذه المهمّة الموكَّلَةِ إليْه، أن يكون واثقاً في نفسه، حليماً في عمله، ودوداً في تلقينه، حتّى يكسِب ثقة الصّغير ويتسنّى له التّواصل النّاجح معه ليُمكِّنهُ من إدراك وفهم أهميَّة هذه القيم الموجَّهة إليه.

إنّ الالتزام بالقيم يجعل صاحبه سويّ السّلوك سائراً في درب الصّلاح، وهذا الالتزام له نتائج وفضائل تَبْرَزُ في شخصيّة الفرد نفسيّاً واجتماعيّاً، وتتجلّى أهميّة القيم في كونها تُساهم في بناء شخصيّةٍ قويّةٍ وناضجةٍ متماسكةٍ وصاحبةِ مبدإ ثابتٍ، أي أنّها تعود على الفرد بالفائدة في اكتسابه القدرة على ضبط النّفس وتحفيزها على العمل وبذلك تنفيذه بشكل مُتْقَن، فيصبحُ للقيم دور الموجّه والمرشد للسّلوك السّوي والصّحيح، فهي تحمي المرء من الوُقوعِ في الخطأ والانحراف؛ أي أنّها بمثابة الدّرع الواقي الذي يحصّن صاحبه ممّا يَسُؤْهُ.[1]

إنّ الهدف الذي تسمو إليه القيم هو خلق جوٍّ من التوازن في الحياة بمختلف نواحيها، ونشر روح الشّعور بالمسؤوليّة تُجاه النّفس والآخرين من أجل كسب محبّة النّاس وثقتهم. فالأمّة التي تعير الأخلاق اهتماماً كبيراً هي أمّة قويّة متحضّرة تعرف سبيل الصّلاح والتطوّر لنفسها، والعكس بالمثل؛ فالأمّة التي لا تهتمّ لشأن الأخلاق والقيم في أفراد مجتمعها تذهب جهودها أدراج الرّياح، متناسيةً أنّهَا الموجّه الأساس وبالتّالي صلاح البلاد والعباد مرتبط بتوافر القيم والأخلاق.

[1]/ ينظر: عدنان بن سلمان الدريويش، «بناء القيم في الأنشطة الأسريّة»، جمعية التنمية البشرية، السعودية، د.ت، ص6.

يقول "محمد الغزاليّ" عن قيمة توافر الأخلاق في الحياة الإنسانية بالرّغم من اختلاف الأديان، فهو يعتبرها أساس نهوض الأمّة من سباتها الذي طال أَمَدُه «والخلقُ القويّ هو الضّمان الخالد لكلّ حضارة»[1]، ويعني بقوله "الضمان الخالد" السّبيل الوحيد الذي لن يزول بمرور الأزمان ما دام الإنسان يربّي أبناءه عليه ويشدّد على قيمته البالغة.

وبالرّغم من أنّ الإنسان مُخيّر بين الخير والشّر وبين الطريق السويّ والطّريق الملتوي، فإنّه لا يستطيع إنكار جمال الأخلاق وأثرها على نفسيّته، ودورها في جعل الحياة أسهل وأصلح، فالأخلاق بمثابة ملح الطّعام الذي يزيد من لذّة الأكل وشهيّته، والأمر مع الأخلاق سيّان؛ حيث إنّ العيش دون أخلاق لا قيمة له فتتزعزع أركان المجتمع ويزول الاستقرار...

وعند الحديث عن الأخلاق، يكون الجميع مسؤولا دون استثناء _الأمّة الإسلاميّة بخاصّة_ فمن تعاليم الدّين السّمحة توافر ثلّة من الأخلاق التي تضمن ديمومة العيش الطيّب، منها: "الصّدق، الأمانة، الوفاء والإخلاص، أدب الحديث، الحِلم، الجود والكرم، الصّبر، الحياء، الرّحمة..."[2]

«إنّ القيم والأخلاق تمثّل الجانب المعنوي أو الرّوحي في الحضارة الإسلامية، وكذلك الجوهر والأساس الذي تقوم عليه أي حضارة، وفي ذات الوقت تضمن سرّ بقائها وصمودها عبر التّاريخ والأجيال، وهو الجانب الذي إذا اختفى يوماً فإنّه يُؤْذِن بزوال الدّفء المعنويّ للإنسان، الذي هو روح الحياة والوجود»[3]. ما آلت إليه الأمّة من تدهور وانحطاط إنّما هو ناتج عن قصور في اتّباع القيم والمثل العُلْيا، يقول الكاتب الإنجليزي "جود": «...فالانحطاط هو خطأ الإنسان في فَهْمِ حقيقة

[1]/ محمد الغزالي، «خلق المسلم»، دار الريان للتراث، مصر، ط1، 1408هـ/ 1987م، ص21.

[2]/ ينظر، المرجع نفسه، ص 237.

[3]/ راغب السّرجاني، «الأخلاق والقيم في الحضارة الإسلامية»، ص1، www.rasoulallah.net

مكانته في الكون، وفي إنكاره عالم القيم، الذي يَشْمَل قيم الخير والحقّ والجمال»[1]، وهناك من يعتبر أنّ القيم والأخلاق تُقيّد الفرد وتُقلِّص من حجم حريّته، وتَحْرِمُهُ لذّة العيش واتّباع الهوى.

والحديث عن الأخلاق ليس حديثاً عن العلم، لأنّها ليست مرتبطة بالتطوّر العلمي الحديث وإنّما هي قديمة قِدَم الوُجود البشريّ، وظهرت جليّةً بمجيء الرّسول صلّى الله عليه وسلّم وحْياً من الله تعالى له. فما يحدث في الوقت الرّاهن من انحلال خلقيّ، فبما كسبت أيدينا وهذا البُعد عن الجانب الخلقي الذي يُضفِي جماليّة على شخصيّة الفرد، يبرَز في نهوض أمّته ومواكبتها لعصر التطوّر عِلْماً وَخُلُقاً أو تخلُّفها عنه. يقول "كاريل": «في المدينة العصرية قلّما نشاهد أفراداً يتبعون مثلاً أخلاقيّاً، مع أنّ جمال الأخلاق يفوق العلم والفنّ من حيث أنّه أساس الحضارة»[2]، فالزّمن المعيش زمنٌ طغى عليه زوال القيم _ الأمّة الإسلامية خصوصاً _ وهذا نتيجة البعد عن الدين الإسلامي وتعاليمه وكذا صدام الحضارات، وهذا ما أفضى إلى ما يسمّى بالتّبعية أي التقليد الأعمى للغرب الذي ساهم في اضمحلال القيم والأخلاق.

شملت هذه التبعيّة معظم جوانب الحياة حتّى الجانب الخلقي، وبرز هذا التّأثير في سلوكيّات الشباب وعقليّاتهم؛ وصار من يتّصف بالخلق الحميد يكون _ بالنسبة لمجتمعه _ ضعيف الشّخصيّة، تقليدي، معقّد، وجبان فأصبح القابض على دينه وخُلُقه وتربيّته غريباً وسط أقرانه بعيداً عن مواكبة عصره، ظنّاً منهم أنّ المتمرّد على هذه المبادئ والقيم يتّسم بالشّجاعة والقوّة...

وهذه التبعيّة الأخلاقية...لا تكون إلاّ إذا وُجِدَت الإرادة، فما لا دخل لإرادة الإنسان فيه لا يُسأل عنه، ولا يُلام عليه، ولا يُمدح أو يُذمُّ من أجله...[3]ومفاد هذا القول أنّ التبعيّة لم تكن إلاّ

[1]/ نقلاً عن: أنور الجندي، «مقدّمات العلوم والمناهج»، دار الأنصار، مصر، المجلّد 4، 1409هـ/1988م، ص77.

[2]/ أليكس كاريل، «الإنسان ذلك المجهول»، تعريب: شفيق أسعد فريد، مكتبة المعارف، لبنان، 1939م، ص351.

[3]/ على الوردي، «الأخلاق: الضائع من الموارد الخلقية»، الفرات للنشر والتوزيع، لبنان، 2007م، ص48.

بإرادة وقناعة تامّة، بمعنى أنّ المجتمع العربي المسلم لم يكن مجبراً على ذلك، بل تقبّل هذا التّأثير بصدرٍ رحب وهذا ما يُعاب عليه المجتمع اليوم.

إنّ هذه الإرادة التي تسيطِر على النّفس إنّما هي «متغلغلة في أعماق اللاّشعور وهي تُصرُّ على الصّمودِ هناك زمناً طويلاً، حيث تُؤثِّر في توجيه السّلوك»[1]، فَتَجْرِفُ صاحبَها إلى ما يُسيء إليه شخصه، وتُبْعِدُه عن أصله ودينه الذي يدعوه إلى الامتثال للتّعاليم التي أوحى بها الله على خاتم الأنبياء والرسل. والسبيل الوحيد الذي يدعو إلى التغيير والنجاح هو الاقتداء بهدي الحبيب المصطفى، حتّى يصلُحَ الفردُ وَبِذَلِكَ المجتمع فالأمّة جمعاء. ولكن الأمر الذي لا يشوبه شكّ «أنّ الأخلاق وليدة الظروف الاجتماعية التي تحيط بها»[2]، فالأخلاق مرهونة حالياً بتغيّر الظروف لأنّه «ما لم تتغيّر الظروف فإنّنا لا نأمل أن تتغيّر الأخلاق»[3]، ويمكن _ من باب الصّدفة _ أن تجد شخصاً يتحدّث عن أخلاق الأنبياء والرسل وقَصَص الصّحابة والسّلف الصّالح ويتفاخر بما كانوا عليه، ولكن في حياته اليومية يُنَاقِضُ أقواله بتصرّفاته وكأنّ الذي كان يقوله لا يعنيه.

إنّ موضوع الأخلاق يتّصل اتّصالاً وثيقاً «بعمل المسلم ونشاطه وما يتعلق بعلاقته بربّه، وعلاقته بنفسه وعلاقته مع غيره من بني جنسه»[4]، فقد أمر الله عزّ وجلّ بالتخلّق بالأخلاق الحميدة حفاظاً على النّفس والغير، وكذلك الرّسول صلّى الله عليه وسلّم أوصى بالخلق الحسن والمعاملة الطيبة. ولكنّ الإنسان الحديث قلقٌ بِطَبْعِهِ، طائش في تصرّفاته يسيطِر عليه طابع اللاّمبالاة، أمّا الإنسان الحق _الذي يجسّد معالم الإنسانية الحقّة بكل ما تعنيه الكلمة من معناً_ فهو ذلك الفرد المتخلّق بالخُلُق الحسن فيحوّله من إنسان طبيعي إلى إنسان محترَم واعٍ بِسِرِّ وجوده والحكمة من خَلْقِه.

---

[1]/ ينظر: المرجع نفسه، ص55.

[2]/ المرجع نفسه، ص55.

[3]/ أحمد أمين، «كتاب الأخلاق»، مطبعة دار الكتب المصرية، مصر، ط3، 1931م، ص6.

[4]/ خالد الخراز، «موسوعة الأخلاق»، مكتبة أهل الأثر للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 1430هـ/2009م، ص22.

والإنسان «كائن أخلاقي لا يتحدّد وجوده إلاّ من خلال علاقته بالقيم»[1]، وبما أنّه مخلوق كرّمه الله بالعقل فإنّه «يملك من الفكر والإرادة ما يستطيع معه تجاوز مستوى الغريزة...»[2]، لهذا فإنّه يطمح لحياة كريمة تكمن في «رغبته في الارتفاع فوق مستوى البهيميّة المجرّدة»[3]. وما يميّز الحياة البشريّة عن الحياة الحيوانيّة، الوعي والإدراك والتحكّم في النّفس، والإنسان الواعي الخلوق هو من يستطيع المزج بين ما يمليه عليه عقله في حدود ما يمليه عليه دينه.

ومن النّظرة العقلانيّة، القيم الخلقية تحقّق عنصر السّعادة؛ يقول "مصطفى عبده": «أمّا السّعادة في الأخلاق...إنّما هي سعادة فرديّة في تحقيق خلاصة الشخص»[4]، وذلك من خلال محاولة الفرد بلوغ مراتب السّعادة، والسّعادة إذا تحقّقت بالأخلاق لا تكون فردية فحسب وإنّما تكون سعادة عامّة للجميع، فالشخص الخلوق ينفع نفسه وغيره.

وإذا أراد المرء أن يكون ناجحاً، سعيداً، متميّزاً، واثقاً من نفسه لا بدّ له التّحلي والتّخلق بالقيم الخلقية التي ترفع من قدره وشأنه وتساعده في معرفة هدفه في الحياة وبلوغه. «إذن المثل الأعلى للأخلاق الإسلاميّة، في الإرادة الحازمة التي تقتضي مجاهدة النّفس والسّيطرة عليها وقمع شهواتها»[5]، وبالتّالي تطبيق القيم الخلقية على أرض الواقع، يتطلّب إرادة قويّة ونفس ثابتة تسعى للحفاظ عليها والامتثال إليها في سبيل تحقيق السّعادة الشخصيّة والسّعادة العامّة. «فلا قيام للأخلاق بدون إرادة...فالمهَمَّةُ الأولى للأخلاق هي تلقيح الواقع بمصل المثُلِ العُليا، والانتصار على الحاضر البغيض»[6]، باستحضار الماضي المجيد، لضمان مستقبل مشرق تَعْبَقُ مِنْهُ رائحة القيم والأخلاق.

---

[1]/ مصطفى عبده، «فلسفة الأخلاق»، مكتبة مدبولي، مصر، ط2، 1999م، ص23.

[2]/ المرجع نفسه، ص23.

[3]/ ينظر، المرجع نفسه، ص23.

[4]/ المرجع نفسه، ص57.

[5]/ المرجع السّابق: مصطفى عبده، «فلسفة الأخلاق»، ص57.

[6]/ المرجع نفسه، ص98.

وتكمن أهمية القيم والأخلاق؛ في كونها المعيار الذي يوجّه الفرد نحو الطريق الصحيح، وينير له سُبُل العيش ضمن مجتمع يسوده الهدوء والاطمئنان النّفسي.

وكما تكون تغذية الأجسام بألذّ الأطعمة وأزكاها، لا بدّ من تغذية الأنفس والأرواح بما يُزيِّنُها من أخلاق ومبادئ وقيم. «فأمّا المجبولون على الأخلاق السيئة فأكثر النّاس لأنّ الغالب على طبيعة الإنسان الشرّ...فإذا هو لم يستعمل فكره وتمييزه، غلبت عليه أخلاق البهائم، لأنّ الإنسان إنّما يتميّز عن البهائم بالفكر والتمييز، فإن هو تخلّى عنها صار شريكاً للبهائم في عاداتها وشهواتها التي تتحكم فيها»[1]. وبناءً على هذا القول، الذي مفاده أنّ النّفس دون تحكّم فيها ودون رجاحة عقل تصير هائمة في عالم الرّذائل والجرائم، لهذا حكمة الله تبارك وتعالى في إكرامه العبد بالعقل، إنّما هي معرفة أسلوب العيش بعزّة والتميّز عن سائر المخلوقات، فهو الميزان الذي يعي به الخير من الشرّ، والصّالح من الطّالح، والنّعمة من النّقمة، والحقّ من الباطل...

وبما أنّ القيم والأخلاق مرتبطة بالدّين ارتباطاً وثيقاً، فعليه؛ العزوفُ عن الأخلاق السّامية هو تخلٍّ عن الدّين وتعاليمه، «فالصّواب أنّ الدين والأخلاق شيء واحد، فلا دين بغير أخلاق ولا أخلاق بغيْر دين»[2]، فالحفاظ على تعاليم الدين أخلاقٌ، والتخلّق بالأخلاق الحسنة أخلاقٌ في حدّ ذاتها، فإذا تمّ التّركيز على الجانب الدّيني فإنّه من المؤكّد الوصول إلى عالم تسوده السّعادة، الأخلاق الفاضلة، القيم والمثُل العليا. إذا ركّز المرء في أخلاقيات الحاضر المرير، ارتسم أمام خياله، كيف سيكون المستقبل إن انعدمت القيم؟ وهل سيظلّ الحال على ما هو عليه؟ أين ماضي الأجداد؟ أين القيم والأخلاق؟

[1]/ الجاحظ، «تهذيب الأخلاق»، دار الصّحابة للتراث، مصر، 1410هـ/1989م، ص13.

[2]/ طه عبد الرحمن، «سؤال الأخلاق»، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2000م، ص52.

دور القيم وتأثيرها في الشخصية:

إنّ أثر القيم في شخصية أفراد المجتمع يظهر في تصرّفاتهم، فهناك من يتبعها فيكون أثرها عليه إيجاباًجليّاً في أخلاقه عندما تعتريه الصّعاب والمتاعب يُواجِهُها بثباتٍ وحزمٍ، أمّا من تخلّى عنها وأدار ظهره لها يكون كذلك أثرها بارزاً في تعامله مع المواقف الحياتية، فيشتم ذا ويتنمّر على ذاك ويمشي الخيلاء دون إعطاء أي قيمة للإنسانيّة التي تجمعه مع أفراد المجتمع الواحد.

وإنّ على الفرد الواحد حقوقٌ وواجبات يلتزم بها تجاه الآخرين، فلا يمكن له تجاهل هذا الأمر ولكن الخروج عن هذه القيم قد يؤدّي إلى حالة يرثى لها في المجتمع، إذ إنّ انعدام الامتثال للقيم عند الكبار يؤدي بالضرورة إلى تقليد الصّغار لهم. وبما أنّ الطّفل أهم كائن يتوجّب تربيته على القيم والمبادئ الأخلاقية السّليمة، فإنّه على أفراد المجتمع الواحد أن تتظافر جهودهم للخروج من هذه الأزمة؛ أزمة القيم والأخلاق.

إنّ مرحلة الطّفولة مرحلة حسّاسة تستوجب فطنة الأولياء لتذليل الصّعاب وتنوير السبل لأنّهم في طريقهم لاستكشاف هذا العالم المليء بالخبايا والأسرار، وبناءً على هذا هم مُلزمون بالتوجيه السّليم، أي أنّ للوالدين دورٌ كبيرٌ في تربية الأولاد فأخلاقهم تصبح أخلاقاً لأبنائهم، فهم عبارة عن صفحة بيضاء يُكتَب عليها ما يُراد لذلك امتثال الوالدين للقيم والأخلاق واجبٌ، لأنّ تخلُّق البيت الأسري أوّل خطوة ناجحة نحو التغيير وحلّ أزمة القيم التي يُعاني منها العالم أجمع.

وقد أكّد خير الخلق على أنّ الوالدين هما من يتحكّمان في مستقبل أبنائهم، وهذا فيما رواه الصحابيّ الجليل أبو هريرة رضي الله عنه، عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال: (مَا مِنْ مَوْلُودٍ إلاَّ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ...)[1]

[1]/ شرح النّوويّ، «صحيح مسلم»، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان، 1401هـ/1981م، ج16، ص207.

وهناك وسائل عديدة تساعد الأسرة في عملها التربوي؛ كالمدرسة والمسجد، (المدرسة القرآنيّة وهي أساس التربية الخلقية والدينية)، وكذلك الأعمال الأدبية على اختلاف أنواعها؛ (المسرحيات، الأشعار، الأناشيد...)، فالطفل بطبيعته الفطريّة يلاحظ ويُقلِّدُ ما يراه على أرض الواقع، «ولكن إذا أردنا أن نحافظ عليه ويكون من أسس تطوّر المجتمع، ويسلم من المذمّات والشّطحات، فليس إزاءنا إلاّ العناية القصوى به وتنشئته تنشئة متماسكة الأجزاء، متينة الأوصال، إذ إنّ الرّعاية عن طريق التثقيف والتّأليف من غير إساءة إلى ذوق الطّفل أو إهانة لشخصيّته، يكون لها التّأثير الكبير على حياته المستقبليّة ولا سيّما إن عرفنا كيف نقدّم له هذه الوجبة، وكيف نجذبه...من غير فرضٍ ولا قسرٍ، بل في قالبٍ حكائيٍّ لذيذٍ يجعله يهضم ما يتلقّى بقلبٍ سليمٍ، ورغبةٍ تلقائيّةٍ»[1]. وهنا تجدر الإشارة إلى أنّ صلاح الطفل من صلاح محيطه، فإذا كانت الأسرة تتحلّى بالأخلاق السّاميّة، حسنة التصرّف، فإنّ الطّفل سيكون مقلّداً لها أمّا إذا كانت سلبية سيكون هناك اضطراب في شخصيّته، وهكذا العكس بالمِثْلِ.

وهذه القيم التي نصبو إليها، (إن لم تُبْنَ على أسسٍ ثابتةٍ، وتغرس بطريقة علميّة تراعي الجوانب المختلفة لحياة الطفل ستظلّ مبتورةً)[2]، لأنّ تثبيتها في أذهان الأطفال يتطلّب المراقبة المستمرّة والإرشاد والتّوجيه، فإذا صادف وتُرِك الطفل لحاله خاضعاً لهواه أكيدٌ أنّه سيصبح فوضويّاً حادّاً في طبائعه، وهذا ما قد يجعله عديم المسؤوليّة (لذلك يتحتّم علينا أن نُمرِّنَه على تحمّل المسؤوليّة فكريّاً وأخلاقيّاً، إذ من شأن ذلك أن يُهيِّئَهُ تهيئةً صالحةً يصبحُ عندها قادراً في المستقبل القريب، مُتَّكِلاً عَلَى نفسِهِ وحدها)[3].

[1]/ محمد مرتاض، «من قضايا أدب الأطفال، دراسة تاريخية وفنية»، دار هومه، الجزائر، ط2، 2015م، ص19.

[2]/ المرجع نفسه، ص22.

[3]/ المرجع نفسه، ص23.

والتربية الحقة هي التي تعتمد في أساسها على المصاحبة الدّائمة في جلّ المواقف الحياتيّة التي يتعرّض لها وتوجيهه عند ارتكاب الأخطاء، وإسداءه النّصيحة التي من شأنها أن ترسخ في ذهنه مع الحرص على تلقينه إيّاها بصبْرٍ وحِلْمٍ ورويّةٍ ليتقبّلها بطيب نفس وسعة صدر.

إنّ طريقة الأولياء في تربيّتهم لأولادهم لها أهمية كبرى، إذ إنّه من الغريب العجيب أن تجد والداً ينصح ابنه مصاحباً كلامه بالشّتائم والسّب، وهذا قد يترك أثراً رهيباً في نفسه فيُعلِّمُه العنف والتعصّب والعجلة دون أن يعي ذلك. إذن الأثر النّفسي الذي يتركه الأولياء في نفوس أطفالهم له ثمرة في المستقبل القريب، فإذا كانت الطريقة سليمة كانت تربية الطفل أسلم، أمّا إذا ترعرع في كنف عائلة يسيطر عليها العصبية والعراك الدّائم...هذا أكيد سيُولِّد فيه شحنة سالبة تعود بالضرورة على شخصيّته. وما يُؤثّر في شخصية الطّفل ليس الأسرة فحسب، بل حتّى الجوّ الخارجي بما فيه الشّارع الذي يؤثّر عليه ــفي بعض الأحايينــ أكثر من تأثير الجوّ الأسري، فقد يُصادف من خلال استكشافه الذّاتي للعالم الخارجي أشياء لم يكن يعلم عنها البتّة، ربّما يسمع كلاماً بذيئاً أو شجاراً عنيفاً أو ملاسنة بين الكبار تُحدِث خَلَلاً في نفسه، حيث أنّه يصطدم بالعنف داخل الأسرة ثمّ العنف خارجها، وهذا بالتأكيد سيخلُق لديه عقدة تكبر وتكبر لتلازمه طوال حياته.

وهنا يأتي دور القيم التي ينبغي أن يتعرّف عليها قولاً وفعلاً، فهي تلعب دور الموجّه في حياته، فإذا كان قد تعرّف على هذا المحيط السّلبي ستكون القيم هي المصلح لهذه المواقف والمرشد حتّى لا يُؤثِّر على شخصيّته.

هناك من الأمّهات من تكون حريصةً كلّ الحرص على نجاح تربيّة أبنائها، فتُشبِعهم بالقيم والأخلاق التي أوصى عليها الدين الإسلامي، كأن تحكي لهم قَصَصاً نبويّاً أو أبياتاً من القصيد تُبهِج بها مُحيَّا وليدها، أو تلعب لعبة معه، والهدف من كل هذا؛ معرفة مدى تأثير تربيتها على ابنها، مَثَلاً: تسأله سؤالاً تعرف جوابه هي، ولكن تختبر مدى صدقه وقدرته على قول الحقيقة، فإن هو صدقها

القول كافأته وحَنَت عليه، وإن لم يقل الحقيقة نَهَتْه عن هذا الأمر بطريقة لطيفة وتخبره أنّ الله يراقبنا ويعلم كلّ شيء، ويحبُّ الإنسانَ الصّادقَ الذي يقول الحقّ ويُدخله الجنّة.

وهناك صنف آخر من الأمّهات، ما إن تختبر صغيرها فإن هو خاف _مَثَلاً_ وكذب تنهال عليه بالضّرب والسبّ والشّتم، وهي ها هنا دون أن تدري تدعوه للكذب مرّة ثانية وثالثة، فتلقين القيم يتطلّب الحكمة في التّعامل والصّبر وحسن التصرّف، لأنّ معاملة الأمّ سَتُنَبِّهُهُ لصفة الكذب، الشتم، القسوة...

إذن تعليم القيم وحده لا ينفع دون تطبيق، فإدراك القيم والأخلاق متعلّق بأسلوب تربية الوالدين؛ فالطريقة الأصحّ في تلقين هذه القيم للمتلقّي الصّغير، هي مداومة حديث الوالدين وتذكير أبنائهم بالدّين ومراقبة الله لعباده في كلّ تحرّكاتهم، والرّسول الكريم ورسالته الدينيّة وسيرته العطرة.

وعلى هذا الأساس، دور القيم تربويّ _بالدرجة الأولى_ توعوي أخلاقي، يهدف إلى إصلاح الفرد والمجتمع، ليعمّ الاستقرار، الأمان، الثقة والاحترام المتبادل. ويكمن دور القيم _أَيْضاً_ في إصلاح ما أفسده العالم الافتراضيّ بتأثيره على أغلب فئات المجتمع _ بخاصة الشباب_ وما قام به من طمسٍ لهذه القيم التي أكّد عليها الآباء وحاولوا جاهدين ترسيخها في أذهان الأبناء وغرسها في نفوسهم، لأنّه عن طريق هذا العالم _الذي هُوَ سلاح ذو حدّين_ يتمّ ضخّ جملة من القيم السلبية، لأنّ الإنسان الحديث صار ملازماً لهذا العالم الواقعي وهذا بسبب ما يعيشه من ضغوطات عصر السّرعة والتكنولوجيا الحديثة بشتّى أنواعها.

وهذه التكنولوجيا صارت السبب الأوّل لتراجع القيم والأخلاق في المجتمعات، وبالتّالي الأسباب تصبّ في مصبّ ضعف الوازع الدّيني والتشبّث به لأنّه ما إن يكون هناك فراغ إلاَّ ويحلّ محلّه شيء آخر، لهذا الفراغُ هو من سنح الفرصة لتأثير القيم السلبية عليه، فالتّكنولوجيا اليوم صارت الصّاحب السّاحب الذي يلازمه ولا يفارقه ولو برهة من الزمن، فقد صارت حِكْراً على الصّغير والكبير وتعدّدت سُبُلُ التّأثير من مسموع، مرئي ومقروء...وهذا التطوّر السّريع زاد من كَمِّ الأفكار

والآراء المغلوطة التي قد تسبب ــفي بعض الأحايينــ انحراف صاحبها. وبما أنّ الأسباب تعدّدت، وطرق العلاج شارفت على الانعدام، صار لِزَاماً على أفراد المجتمع الواحد وضع اليد في اليد، والترابط والتلاحم من أجل إعادة إحياء تلك القيم التي كانت وتكون وستظلّ الإكليل الذي يزيّن الإنسانيّة جمعاء، فمهما اختلفت الأديان والمعتقدات، إلاّ أنّ الرّابط الوحيد الذي يجمع البشر هو القيم الإنسانيّة والأخلاق الحسنة والمعاملة الطيّبة.

وهذه القيم إنّما هي تدور في فلك القيم «التي تُنضِجها العائلة والنِّظام وتطوّرها المراحل الدراسية اللاحقة أي أنّها منبثقة من معايشة الطفل الذاتيّة واستكشافاته الخاصّة التي يستلهمها من محيطه الاجتماعي، أو من قراءته لأشكال أدبيّة مختلفة تُثْرِي فِيهِ رُوحَ الخَيَالِ...»[1].

وممّا يظلّ محفوراً في ذاكرة الطّفل الصّغير، هو معاملة الأسرة والمحيط الخارجي له بحيث إنّه يتأثّر بهم بشكل عفوي وتلقائي، لهذا القيم والأخلاق التي يصبو الأهل لغرسها في نفوس أولادهم، لا بدّ لها من تجسيد على أرض الواقع، ولأنّه من العار أن ينصح المرء بشيء ويفعل غيره، لأنّ هذا الفعل قد يؤدّي إلى اضطراب في فهم الأمور على حقائقها. يقول "أبو الأسود الدّؤليّ":

لاَ تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِي بِهِ عَارٌ عَلَيْكَ إِنْ فَعَلْتَ عَظِيمُ [2]

وتبقى أهميّة القيم والأخلاق، من الأولويّات التي يعتني بها المجتمع، إذ إنّها أداة فعّالة من الأدوات التي تزدهر بها الإنسانيّة وتتمحور حولها التّربية ويكون بها رقيّ المجتمع.

[1]/ محمّد مرتاض، «من قضايا أدب الأطفال»، دار هومه، الجزائر، ط2، 2015م، ص18.

[2]/ البغداديّ، «خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب»، مكتبة الخانجي، مصر، ط4، ج8، 1418هـ/ 1997م، ص567.

المبحث الثاني: أنواع القيم المُتضمَّنة في شعر الأطفال

إنّ ترسيخ القيم والأخلاق في نفوس أفراد المجتمع ليس بالأمر السّهل الهيّن، وبالأخصّ الأطفال لأنّهم يتطلّبون عناءً وجُهداً لا يُستهان به لتثبيت هذه القيم في أذهانهم، لهذا يتوجّب الاستعانة بوسائل متعدّدة لتسهيل قابليّة الطّفل لهذه المبادئ التي سيتّبعها طوال مسار حياته. إذ إنّ على الطّفل الصّغير أن يمتثل لمجموعة من القيم ـ بعدما يتعرّف على قيمتها في حياته ومدى أهمّيتها ـ لأنّ المواقف اليوميّة التي يتعرّض إليها، تُلزِمُهُ بأن يتوخّى الحذر من الوقوع في الزّلل والغلط الّذي قد يجعله يندم بعد ذلك، لهذا عليه أن يفهم مقصدها ويدرك معناها حتّى يستطيع تجسيدها في تعامله مع غيره، وهذا لا يكون إلاّ بمساعدة الأوليّاء له والأخذ بيده إلى برّ الأمان.

وبناءً على هذا الأساس، قد اتّجه شعراء الأطفال إلى نظم قصائد تُسهّل فهم مضمون هذه القيم لدى الطّفل وعلى اختلاف أنواعها للتّأكيد على أهميّتها والإشارة إلى دورها في التّعامل مع الآخر. وأولى القيم الّتي يجب أن يعيها؛ (القيم الروحيّ والعقديّة: المتمثّلة في حبّ الله والإيمان به والجهاد في سبيله، لأنّ التّربية الدّينية هي أساس التّربية. وتليها القيم الخلقية: كالعدل والأمانة والطّاعة والصّدق وإكرام الضّيف. والقيم الوجدانية الانفعاليّة: كالحبّ والكره وضبط النّفس عن الغضب وهذا بهدف الحفاظ على استقرار النّفس وطمأنينتها. وكذلك القيم الاجتماعية: من التّكافل الاجتماعي والإحسان إلى الجيران إلى التّواضع، الكرم، والعطاء والتّسامح...أمّا القيم المادّية: تشمل الاعتناء بالجسم والاقتصاد في الإنفاق (تعليم الطّفل عدم تبذير المال على الأمور التّافهة مهما كان غنيّاً أو ميسور الحال). وهناك القيم الجماليّة: وتتّصل بالتّذوّق الجماليّ والاعتناء بالمظهر (اللّباس)، والنّظافة (تقليم الأظافر، غسل اليدين...)، والنّظام (ترتيب الألعاب، ترتيب الأدوات المدرسيّة)[1]. وكذا القيم

[1]/ ينظر، عدنان بن سلمان الدريويش، «بناء القيم في الأنشطة الأسرية»، جمعية التنمية البشرية، السعودية، د.ت، ص16.

المعرفية الثقافية والعملية: وتتمثّل في المعرفة، الذّكاء، الثّقافة...والعمل والإخلاص والتّفاني فيه والشّعور بروح المسؤولية.[1]

وأنشد الشّعراء أبياتاً أفصحوا فيها عن دور القيم الرّوحية العقدية ومدى أهمّيتها؛ يقول "أحمد سويلم" عن حبّ الله مُحاوِلاً جعل الطّفل يتدبّر خلق الله في هذا الكون:

إنِّي أُحبُّ الله وأبْتغِي رضـــــــــاه

قدرَتُهُ مِن حولنا في جِسْمِنا وعقلنـا

في خلقه الطّيور والماء والزّهـــــــور

والشّمس والقمر والرّمل والحجـــــر

سُبْحَانَهُ الوهّاب يُعطي بلا حساب[2]

ويقول عن قدرة الله في خلق الإنسان:

سبحان من خلق وأَوْجَدَ العَلَـــق

ليُصبِح الإنســان خليفة الرّحمـــن

سوَّى لَـه العينين والأنف والكفّين

وأبْدَعَ الحـــواس وأَطْلَقَ الأَنْفـاس

هيِّئ لنا يا ربُّ ننال منك القرب[3]

[1]/ ينظر، سمر روحي الفيصل، «أدب الأطفال وثقافتهم ـ قراءة نقدية ـ»، منشورات اتّحاد كتّاب العرب، 1988م، ص10.

[2]/ أحمد سويلم، «ديوان الطفل العربي»، الدّار الثّقافية للنّشر، مصر، 2016م، ص5.

[3]/ المرجع نفسه، ص7.

أمّا في قصيدة "**الله ربّي**" لعبد الفتّاح أبو معال، يفتح عيني الطّفل على مراقبة الله في عمله، ووجوب طاعته حُبّاً فيه لأنّه الخالق الأَحَقُّ بالعبادة:

الله ربّي الله ربّي

الله ربّي الله ربّي

أراه فيما تراه عيني من كلّ خلق وكلّ حسن

وجّهت وجهي إليه حُبّاً فارتدّ خيراً على حبّي

الله ربّي الله ربّي

وحين أرنو لكلّ كوكب وأنت حقّ لكلّ طاعة

يهتف قلبي يقول يا ربّ إلاّ تكلني يوماً لذنبي

الله ربّي الله ربّي

في باطن الأرض في السّماء يحار عقلي به ويعجب

في نـــــور عيني وفي دمائي أنت العظيم وأنت ربّـي

الله ربّي الله ربّي.[1]

ويقول "أحمد شوقي" في قصيدته الشّهيرة في **مدح الرّسول صلّى الله عليه وسلّم**:

رِيمٌ عَلَى القَاعِ بَيْنَ البَانِ وَالعَلَم أَحَلَّ سَفْكَ دَمِي فِي الأَشْهُرِ الحُرُمِ

وَنُودِيَ: اقْرَأ تَعَالَى اللهُ قَائِلُهَـا لَمْ تَتَّصِل قَبْلُ مَنْ قِيلَتْ لَهُ بِفَـمِ

[1]/ عبد الفتّاح أبو معال، «أدب الأطفال ـ دراسة وتطبيق ـ»، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، ط2، 1988م، ص95.

هُنَاكَ أُذِّنَ لِلرَّحْمَـــنِ، فَامْتَلَأَتْ أَسْمَاعُ مكّةَ مِنْ قدسيّة النّعـــــم[1]

ولم يقتصر النّتاج الشّعري عند القيم الروحية والعقدية المعنوية فحسب، بل المادية كذلك؛ يقول الشّاعر "مصطفى الغماري" في قصيدته على لسان المسجد:

أنا مصنع الفكر مهد الأدب

وأسرار من يصنعون العجـب

بمنبري الحُرّ كم من خطيـب

أنار الظّلام وجَلّى الكـــرب[2]

وهذه الموضوعات ـ على سبيل الذّكر لا الحصر ـ التي عالجها هؤلاء الشّعراء، إنّما الهدف الأسمى منه هو إمتاع القارئ الصّغير بموسيقاها الشّعرية وإفادته عن طريق القراءة وفهم مضمون القصيدة والمقصد الدّيني منها.

إنَّ القيم الخلقية تزيد الإنسان جمالاً وتميُّزاً منها؛ العدل، الأمانة، الصّدق...يقول "أحمد سويلم" عن **العدل والمساواة** لترسيخها في عقول الأطفال الصّغار، براعم المستقبل الموعود.

إِخْوَةٌ كُلُّنَـــــا قَالَهَا دِينُنَـــــا

مَنْ يُرِدْ حَاجَةً حَقُّهُ مَالُنَـــــا

الفَقِيرُ هُنَـــــا وَالغَنِيُّ هُنَـــــا

كُلُّنَا إِخْـــوَةٌ إِخْـــوَةٌ كُلُّنَـــا [3]

[1]/ أحمد شوقي، «الشّوقيات»، دار العودة، لبنان، ج1، 1988م، 190 و196.

[2]/ مصطفى الغماري، «الفرحة الخضراء»، نقلاً عن: محمد مرتاض، «الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري»، ص20.

[3]/ أحمد سويلم، «ديوان الطّفل العربي»، الدّار الثّقافية للنّشر، مصر، 2016م، ص9.

فالشّاعر هنا استند إلى قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا الله لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[1]. يدعو الشّاعر من خلال كلماته إلى المساواة بين الفقير والغنيّ، وتوطيد العلاقات وإذكاء روح الأخوّة بين جميع أفراد المجتمع دون استثناء أو تمييز رغم اختلاف الأديان، لأنّه على شاعر الأطفال أن يتّخذ من الشّعر (وسيلة لغرس عقيدة دينية خاصّة في قلوب النّاشئة...أيضا وسيلة من وسائل احترام الأديان الأخرى، وأن يتحوّلوا عمّا كان يحدث قَبلاً منْ تعمِيق الكَراهية لِلأديَان المخالِفة لعَقيدتِهم، أَوْ الاسْتخْفاف بِهَا وازْدِرَائِهَا...بلْ تصَوّر جمِيعها عَلى أنَّهَا أديَان منَ عند الله، وَيخْتلف فيهَا النَّاس كَمَا يخْتلِفون فِي جنْسيَّاتِهِمْ وَلُغَاتِهِمْ)[2].

إِنَّ حياة الإنسان لا تخلو من المشاعر والأحاسيس، التي تنتابه حين لقاءه مع من يحبّهم أو حتّى من يجعله يشعر بالنّفور منه إزاء تصرّف سيّء جرحه به، ولكن تبقى لفطرة الطفل الغلبة، فهو يحبّ كلّ من يحنو عليه ويغدق عليه بالحبّ والحنان، وهذه علامة من علامات القلب المؤمن السويّ، يقول "أحمد سويلم" على لسان طفل صغير اتّخذ الحبّ سبيلاً في حياته مُنيراً له طريقه:

الحبّ والمحبّة:

الحبّ عندي مذهبي يصفو لأمّي وأبـــي

وإخوتي فـــي أسرتي وأصدقاء اللّعـــب

وكلّ مـــــن علّمني وكلّ من أدّبـــــني

الحبّ نـــــورٌ دائمٌ في قلب كلّ مؤمن[3]

[1]/ سورة الحجرات، الآية: 10.

[2]/ عليّ الحديدي، «في أدب الأطفال»، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط4، 1988م، ص107.

[3]/ أحمد سويلم، «ديوان الطفل العربي»، الدّار الثقافية للنّشر، مصر، 2016م، ص20.

ولم يحصر الشّاعر "أحمد سويلم" الحبّ في حبّ الأسرة وحسب، بل دعا الطفل الصّغير إلى **حبّ جميع مخلوقات الله**:

أحبّ الطّيـــور أحبّ الشّجـــر

وشمس الصّبـــاح ووجــه القمـــــر

وصوت السّواقي ولحن الحقـــــول

أحبّ الطـــبيعة في كـــــلّ حين

أمام الميـــــاه وتحت الغصـــون[1]

ويضيف الشّاعر حبّ الطفل لأمور وأشياء أخرى، شأن الأعياد والحفلات والأفراح والنجاح:

أحبّ أعيادي تاريخ ميلادي

أحبّ أيـامي نجاح أحلامـي

أحبّ عاداتي أقضي عباداتي[2]

إنّ القيم الاجتماعية عديدة تشمل التضامن والتكافل الاجتماعي و**الإحسان إلى الجيران**، ورحمة الضعيف ومودة الصغير واحترام الكبير:

جاري جاري قرب الدّار وبـــه تزهـــو بـــالأنوار

لا أرميـــه بالأقـــذار وأبـــــادره بالإيثـــــار[3]

[1]/ المرجع السّابق، ص19.

[2]/ المرجع نفسه، ص16.

[3]/ ميسون قصّاص، «واحة النّشيد»، منشورات وزارة الثقافة_ مديرية منشورات الطفل، سوريا، 2009م، ص15.

من الجميل أن يهتمّ الطّفل بنظافة جسمه ويعتني به، لأنّه طفل مسلم دينه يدعوه للنّظافة لأنّها من الإيمان، والبعد عن الوسخ وكلّ ما يُلوّث ثيابه وجسمه، وكما يعتني الطّفل بثيابه ونظافتها عليه أن يكون مهتمّاً بالنّظام (ترتيب الملابس، ترتيب الألعاب، ترتيب الأدوات المدرسيّة...). يقول "أحمد سويلم" عن النّظام على لسان طفل مهذّب:

النّظام:

كلُّ شيْء لِي مُرتَّب وجميـــــل... ومحبّـــــــب

كـــــتبي... وأدواتي وثيابي... النّـــــــاصعات

أنا في البيت منظّم ولهـــــــــــــذا أتقـــدّم[1]

أمّا القيم المعرفية العلمية؛ والتي تتمثّل في روح البحث وحبّ الاستطلاع لأنّ الرسول صلّى الله عليه وسلّم، جاء برسالة "اقرأ" لهذا نحن أمّة العلم والعمل والاجتهاد في تعلّم كلّ أنواع ووسائل العلم ومثال ذلك أشهر وسيلة للعلم في العصر الحالي؛ هي الحاسوب الذي أصبح الرفيق الصديق للإنسان لأنّ سرعته الفائقة في البحث عن العلوم والمعارف ذات نتيجة فورية، لهذا استوجب تعلّم طريقة العمل به:

قيمة العلم:

العلـــــمُ بحرٌ واســـــعٌ وكلّـــــــــه منافـــع

أعرِف بـــــــــــالأزرار ما غاب من أسرَار

وأحسب الأرقـــــــــام في دقّـــة الإحكام[2]

[1]/ أحمد سويلم، «ديوان الطفل العربي»، ص11.

[2]/ المرجع نفسه، ص22.

إنّ أنواع القيم سالفة الذّكر ــعلى سبيل الحصرــ متعدّدة جميعها تهدف إلى إصلاح النّشء والحرص على أن تكون تربيته صالحة نافعة لنفسه وغيره، وهذه القيم تُستَهلّ من الأسرة ويليها المسجد وتكمّلها المدرسة، إلاّ إنّ المحيط الخارجي يكون له دور بارز إذ إنّه يؤثر ــوبشكل كبيرــ على التربية، لكن تبقى التربية ذات الأساس السليم هي الحقّة الغالبة مهما اعتراها التشويه والتغيير.

الفصل الثاني

أهمية الشعر ودوره في اكتساب القيم والأخلاق

المبحث الأوّل: أهمية الشعر:

إنّ تعدّد الألوان الأدبية له منافع جمّة تعود على المتلقي _ مهما كانت فئته العمرية _ إذ إنّ كلاًّ منها يهدف إلى بعث رسائل مشفّرة أو صريحة للطّرف الآخر، بطريقته الخاصة ووسائله التي يتميز بها عن غيره.

إذ يلعبُ الشّعرُ دوراً هامّاً في حياة الإنسان، فهو ليس وليد اليوم بل ضاربٌ في القدم. وأوّل ظهور صارخ للشّعر العربيّ الأصيل كان مع شعراء المعلّقات العشر ومن تَلاَهُم من أمثال: امرئ القيس، لبيد بن ربيعة، النّابغَة الذُّبياني، زهير بن أبي سلمى...وهلمّ جرّاً.

وفي التّراث العربي الأصيل مراجع تحيل إلى وجود شعرٍ مخصّص للطّفولة، إذ كانوا يَرْوُون لهم قصصاً وحكايات مسجوعة الكلمات لها وَقْعٌ في نفوس الأطفال، وكذا أشعار تُمتِّعُهم وتُرفّه عنهم وتسلّيهم، "وقد كانت الغاية من الشّعر إصلاحيّة إرشادية للنّفس لتقويمها وتهذيب سلوكها، ممّا يجعل الشّعر مادّة تربويّة تعليميّة هامّة"[1].

والغاية من كتابة الشعر للطفل ليس الكتابة بحدّ ذاتها، وإنّما أن يوصل الشّاعر فكرته للقارئ الصّغير فيشعر بما يقول ويحسّ بما يعبّر. يقول "عليّ الحديديّ": «وليس المهمّ أن نقدّم للأطفال شعراً أيّ شعرٍ، ولكنّ المهمّ أن نجعلهم يُحِسّون به ويتذوّقونه، ويشعرون حين يقرأونه أو يسمعونه أنّهو يقرأون أو يسمعون شِعْراً، فالشّعر ليس هو الوردة ومنظرها ولكنّه الشّعور برائحة الوردة، وليس هو البحر وضخامته ولكنّه الإحساس بصوت البحر»[2]. ويضيف قائلاً: «الشّعر الجميل هو الخلاصة المقطّرة للتّجربة الّتي تكمن في جوهر الموضوع _وفي مكنون العاطفة وفي لبّ الفكر _ فكلّ كلمة يجب أن تُختار بحرصٍ لمعناها وفي دقّة لموسيقاها لأنّ الشّعر لغةٌ في مضمونها وصيغتها المركّزة».[3]

---

[1]/ المظفر العلوي، «نضرة الإغريض في نصرة القريض»، تحقيق: فهمي عارف، مجمع اللغة العربية، سوريا، 1976م، ص375.

[2]/عليّ الحديديّ، «في أدب الأطفال»، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط4، 1988م، ص198.

[3]/ المرجع نفسه، ص199.

إذن الشّعر ليس كلاماً فقط، وإنّما هو إحساس يبدأ مع الشّاعر لينتقل إلى المتلقّي، وبذلك يكون الشّاعر مُحاوِلاً أن يتَقاسم مَع المتلقِّي ذَلك الشّعوُر الصّادق أو الإحسَاس الجيَّاش الذي يجول فِي خَاطرِهِ، ونجاحُ العمَلية الإبدَاعية يقتصِرُ علَى مدى تأثُّر القَارئ والأثَر الذِي تَركه ذاكَ العمَل فِي نفسِه. وبالإضافة إلى ذلك، يعتبر "الحديديّ" «الشّعر لا يعكس الحياة فحسب، ولكنّه فوق ذلك يظهرها في أبعاد جديدة، ولأنه لاَ يَقتَصِر عَلَى مُتْعَةِ الْمُوسِيقَى والعَاطفَة، بَل ينتَقِل منْها إلَى الحِكْمة، وفوق أنَّه يُدخِلُ البَهجةَ والْفرحَة علَى الْأطفال ينبَغِي أن يُساعِدهم عَلى تنميَة مدركاتِهم ونفَاذ بصيرَتِهم ويَكشِف لهُم عَن طرِيق جَدِيد للتَّعرُّف علَى عالَمِهم والإحْسَاس بِه»[1].

إنّ الأطفال في فطرتهم وطبيعتهم يحبّون البساطة والشّيء المليء بالحركة والنّشاط، إذ إنّهم «يحبّون أن يُقدَّم لهم الشّعر البسيط المليء بالحيوية والمتّصل بالموضوع الذي يعالجه. وليس من الضروريّ أن يفهم الأطفال كل ما في الشّعر من جزئيات لكي يُقبِلُوا عليه ويستمتعوا به، فقد يكون استمتاعهم بالفكرة جزئياً ثمّ يستكملون المتعة بالوزن والموسيقى»[2]. وبما أنّ «الشّعر يُرضي استجابة الطّفل الطّبيعية...فإنّ الوحدة الموسيقيّة وتكرار الإيقاع يخلق للشّعر موسيقاً داخليّة خاصّة، تجعل الطّفل يدقّ الأرض بقدمه أو يُحرِّك رأسه بانتظام حين يسمعه، وتلك هي علامات الاستجابة للحن الشّعر وموسيقاه»[3]. لهذا يرتبط نجاح العملية الإبداعية التّواصلية بين الشّاعر والطّفل في التّأثير الذي يرسخ في نفسه واستجابته لخفّة الوزن وروعة الموسيقى.

إنّ الشّعر يعْكسُ حركة الْأشيَاء إذ إنّ الْقارئ المتلَقّي يرَى الْأشيَاء وكأنّها أمامهُ شاخصَة أو يسمَع صوتَها أو يتذوّقُها...وهذا ما يبحثُ عنهُ الطِّفل في شعره لأنّه يتبع فطرته الاستكشافية المتذوّقة لذلك يحبّ أن يكون الشّعر مجسّداً لها بشكل مباشر وبسيط وصريح. وعلى هذا الأساس، يرى "الحديديّ" أنّ «الشّعر يضفي الجمال والسّحر على صور التّعبير، والحديث عن الشّعر وصوره؛ إنّما

[1]/ عليّ الحديديّ، «في أدب الأطفال»، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط4، 1988م، ص199.
[2]/ ينظر، المرجع نفسه، ص207.
[3]/ ينظر، المرجع نفسه، ص201.

يعني الصّور المباشرة للبصر والصّوت واللّمس والمذاق والشّم وتلك هي المظاهر الحسيّة للشّعر التي تُرضي الأطفال، لأنّها تعكس الطّريقة التي يكتشفون بها عالمهم...ولأنّ أكثر الأطفال تقوم مدركاتهم على البصر، فإنّ استعداداتهم تستجيب بقوّة للشّعر المكوّن للصّور البصريّة»[1].

وتكمن أهميّة الشّعر في مساعدة الطّفل في تطوير قدراته الفكريّة والحسيّة وغيرها من القدرات، حتّى يتمكّن من اكتشاف خبايا هذا العالم المليء بالأسرار والعجائب. إذ «لا تقتصر مهمّة الشّعر على مساعدة الطّفل على اكتشاف جمَال المنظر وحسب، بل يساهم في ازديَاد حساسيّة أفكارهم وأمزجتهم وأذواقهم، فالأطفال كالكبار لهم أوقات الحزن وأوقات الفرح والسّرور وأوقات الوحدة والغضب، لكن أسباب هذه الحالاَت المزاجيّة عندهم تختلف عن أسبابها عند الكبار، وإن كان الشعور متماثلاً بين الصغار والكبار»[2].

إنّ الشّعر هو بمثابة «الزّاد الحقيقي والمناسب للأطفال»[3] لأنّه سبيلهم للاطّلاع على هذا الكون والشّعور بما هو موجود فيه واستكشافه بطريقة إبداعية، بحيث إنّ الشّاعر يبُثُّ الحياة في مخلوقات الله محاوِلاً أنسنة الحيوانات والطيور والأزهار للتّحدث مباشرة مع الطّفل الصّغير، فيحثّه _من خلال كلام هذه المخلوقات_ على الرفق بالحيوان والعناية بالأزهار:

جمال الطبيعة:

كُلُّ غُصْنٍ قَدْ تَزَيَّنْ

بالأزهَار تَلَوَّنْ

[1]/ عليّ الحديديّ، «في أدب الأطفال»، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط4، 1988م، ص201.
[2]/ ينظر، المرجع نفسه، ص202.
[3]/ المرجع نفسه، ص200.

فَوْقَهُ الطَّيْرُ تَفَنَّنْ[1]

أو كالأشعار التي يقوم فيها بأنسنة الجماد بِجَعْلِهِ الكتاب يتكلَّمُ عن قيمته أو عن المسجد وهو يزهو بالمصلّين الصّغار:

المسجد:

أَنَا مَصْنَعُ الفِكْرِ مَهْدُ الأَدَبْ

وَأَسْرَارُ مَنْ يَصْنَعُونَ العَجَبْ

بِمَنْبَرِي الحُرُّ كَمْ مِنْ خَطِيبْ

أَنَارَ الظَّلاَمَ وَجَلَّى الكُرَبْ[2]

أو تلك المدرسة التي يصوّرونها على أنّها فَرِحة بأولئك الذين درسوا بجدّ وكدّ وتعلّموا ليُصبِحُوا حماةً لوطنهم وعلماء يرفعون شأن بلدهم عالياً.

ومن بين هؤلاء الشّعراء الذين ساهموا بإبداعاتهم في إثراء هذا المجال الأدبي أمثال: "شوقي، البارودي، حافظ إبراهيم، الرّصافي، مطران، المازني، الشّابيّ، محمّد عليّ الربّاوي، محمد الأخضر السّائحيّ، محمّد ناصر، مصطفى الغماري، بوزيد حرز الله، يحي مسعودي، محمّد العيد آل خليفة، العيد جلولي، جمال الطاهري...وغيرهم من هؤلاء الروّاد الكبار لشعر الطّفولة من يصلح الاقتباس من شعرهم لتعليمه للنّاشئة الصّغار. واجتهاداً منهم، أكّدوا على أنّ «الشّعر العظيم يمزج الخبرات ويصل بين تجربة الشّاعر وقارئ شعره المستمع إليه، وهو لذلك يُرضي عواطف القارئ أو السّامع وفكره، ويُثير فيه بقوّته ما يتضمّنه من صور حسّية وانطباعات فنيّة...ويتطلّب من قارئ الشّعر أو سامعه أن

[1]/ محمّد عليّ الربّاوي، «عصافير الصّباح»، منشورات المشكاة، وجدة/ المغرب، ط1، 1987م، ص26.

[1]/ يحي مسعودي، «نسمات»، نقلاً عن: محمد مرتاض، «الموضوعات في شعر الطّفولة الجزائري»، دار هومه، الجزائر، 2015م، ص20.

يستجيب استجابة تامّة من فكره وشعوره وخياله أو بمعنى آخر أن يُعْطِيَ نفسَه كُلَّها للشّعر، لكي يصل إلى أعماقه فيمتزج بتجربة الشّاعر ويعايشها. فالشّعر لا يعرض التّجربة بقدر ما يطلب من قُرَّائه أن يُشارِكُوا في التّجربة»[1]

إنّما يختلف الشّعر الموجّه للكبار عن الشّعر الموجّه للصّغار في المضمون والموضوعات، والأساس هنا أن تكون لغته الشّعريّة في المستوى وموضوعها كذلك والمغزى هادف. وبالنّظر إلى تأثير التّجربة الشّعريّة في القارئ، لا بُدَّ من توافر «مكوّنات الشّعر الأساسية: الموسيقى ـ اللّغة ـ الخيال ـ الصّورة ـ العاطفة، ففي الموسيقى نجد أدوات البحر الشّعري والتّفصيلات والإيقاعات النّاتجة عن القوافي والموسيقى الدّاخلية النّاتجة عن تلاؤم التّركيب في ألفاظ البيت الشّعري. واللّغة هي حصيلة ما عند الطّفل من قاموس لغته، وهذا ما لم ينظم لدينا علميّاً»[2].

إنّ الشّعر العربيّ شأنه شأن باقي المصادر العلميّة الأدبيّة، حيث إنّ الشّاعر يحثّ المتلقّي على فعل الخير والتّحلي بالأفعال الحميدة التي تُعلي من شأنه وقدره فنجده أحياناً يُقبّح صفات ذميمة مثل: البخل والجبن... وغيرها، ثمّ يستحسن ويمدح الأخلاق الحميدة مثل: الكرم، والجود، والصّدق لدعوة الآخر إلى فعل الخير وترك الشرّ بهدف تربية الأجيال الصّاعدة وترسيخ القيم والأخلاق الفاضلة فيها والتّركيز عليها.

إنّ الطّفل ــوبمُجرّدِ سماعه للشّعر أو قراءتهــ يجد متعةً لاَ مُتَناهيَة وإشباعاً لرغبتهِ وعندماَ يفضِّل شعراً عن آخر يكون من خلال فكرة ومضمون هذا الشّعر، ومن حيث لغته وفَحْواه الْفنّي. ومن اللاّزم أن يتم تكوين صلة وثيقة بين الطّفل والشّعر الممتاز الجيّد، وذلك بالكتابة في الموضوعات التي يستصيغونها وتناسب عقلياتهم ومرحلتهم العمريّة، وتدخل ضمن نطاق تجاربهم الشّخصيّة.

[1]/ عليّ الحديديّ، «في أدب الأطفال»، ص199.

[2]/ مصطفى الصّاوي الجويني، «حول أدب الأطفال»، منشأة المعارف، الإسكندرية/مصر، 1977م، ص29.

فالطّفل دائماً ما ينتظر جهوداً كبيرة في الإنتاجات الأدبيّة فيطمح إلى التّزوّد بلغة جديدة سهلة سلسة تُثري رصيده المعرفي وتُرفّه عنه في آنٍ واحدٍ.

ومن النّادر ألاّ تكون هناك استجابة نفسية أو عاطفية للطّفل، بحيث لا يشعر بشيء من الانجذاب نحو هذا الشّعر الذي لم يَحْوِ لغة شاعريّة مؤثّرة ولا موضوعاً هادفاً ذا مغزى لافت للانتباه، إلاّ في حالة ما إذا صادف شُويعراً مبتدئاً أو كاتباً من كتبة هذا الجيل الذين يحاولون التّطفّل على هذا المجال دون خبرة أو علم بفنّ الكتابة للنّاشئة، لأنّ الشّعر يعدّ من أهمّ أساليب الاستمتاع عند الأطفال؛ فهو ينمّي أذواقهم ويُثري رصيدهم اللّغويّ ويُربّي سلوكيّاتهم ويُعلّمهم الأخلاق والقيم والمبادئ السّاميّة التي ينبغي أن تنبني شخصيته عليها.

إذ إنّه من البديهيّ أنّ «نظم القصائد للأطفال أصعب بكثير من نظم القصائد للكبار، إذ على شاعر الأطفال أن يضع في حسابه كثيراً من التّقنيات ويرصد إزاء ذهنه كثيراً من الحقائق التي لا تقبل الجدل، ومن هذه الحقائق والتقنيات مراعاة المستوى العمري والفكريّ اللّغوي والنّفسي وغير ذلك، إذ إنّ ما يُكتب للطّفل في الرّابعة من عمره يختلف عمّا يُكتب لآخر في الحادية عشر مثلاً، فانشغالات الطّفل وأهدافه متباينة، وطموحاته متفاوتة، لذلك يوصي المربّون بعدم تناسي هذه الجوانب حتّى يكون للشّعر الموجّه لهم أثره في النّفوس»[1]، وإن ضيّع الشّاعر شرطاً من شروط الكتابة النّاجحة للأطفال فإنّ عمله سيظلّ ناقصا لا يجدي نفعا ولا ثمار منه.

ومن الضّروري الإشارة إلى أنّ استعمال اللّغة واجبٌ الحذر منه لأنّ اللّغة هي الجسر الذي يربط بين الشّاعر والمتلقّي الصّغير، حيث أنّ الإدراك العقليّ والفكريّ للطّفل لا يفوق سنّه وهذا ما يجب على الشّاعر مراعاته بشدّة وحذر وفطنة، لأنّ استعمال المجاز والبلاغة الصّعبة يزيد من تعقيد الأمور عليه ويحدث لديه اضطرابا فكريا.

[1]/ محمد مرتاض، «من قضايا أدب الأطفال»، دار هومه، الجزائر، 2015م، ص72.

تقول الشّاعرة البلغارية "ليدا ميليغا" في بعض الأبيات:

...عندما صافح

صوت النّاي الحنون

آذان المطر[1]

ففي تحليل هذه الأبيات صوّرت الشّاعرة صورة معقّدة من خلال قولها مصافحةُ الصّوتِ للآذانِ، بحيث جعلت للمطر آذانا تصافح صوت النّاي، وفي الحقيقة المصافحةُ تتمّ بواسطة الأيدي لا الآذان والصّوت لا يُرى فكيف يمكن مصافحته؟ هنا ليست بلاغة قول وإنّما تعقيد على القارئ الصّغير، فالشّاعرة ظنّاً منها أنّها تحاول إعمال عقل الصّغير وتطوير خياله، ولكنّها صعّبت الأمور وزادتها تعقيدا، ففي هذا النّموذج الشّعريّ «تكلّف وعدم مراعاة لقاموس الطّفل المحدود»[2].

إذ من غير اللاّئق، أن يعالج شاعر الأطفال موضوعاً يفوق سنّ الفئة العمريّة التي يكتب لها، لأنّه يعتبر خروجا عن شروط التّأليف والكتابة للعقل الصّغير الذي لا زال طور الاستكشاف والتعرّف على هذا العالم الذي وجد فيه نفسه مُحاطاً بعدّة أمور لا بدّ له من معرفتها والاستطلاع عليها.

[1]/ المرجع السابق، ص72.

[2]/ المرجع نفسه، ص 74

دور الشّعر:

إنّ للشّعر مكانة هامّة عند العرب منذ القدم، إذ كانوا يُلزِمون أبناءهم حفظه عن ظهر قلب، لأنّهم كانوا يعتبرونه أهمّ مصدر للّغة العربيّة التي يجب الحفاظ على مكانتها وألفاظها.

إذ إنّه في زمن الخلفاء الرّاشدين، كان "عمر بن الخطّاب" يوصي النّاس ويدعوهم إلى تحفيظ صغارهم الشّعر لما فيه من فائدة جمّة تعود على لغتهم وزادهم المعرفيّ، وكان ينصح بتعليم الشّعر للنّاشئة وأسماه بديوان العرب، كونه ثروة لغويّة لا بدّ من الحفاظ عليها؛ والحفاظ على الشّعر العربيّ يعود بالضّرورة إلى الحفاظ على اللّغة العربيّة لغة القرآن الكريم ولغة أهل الجنّة.

يقول ابن كثير: «... لأنّ لغة العرب أفصح اللّغات، وأبينها، وأوسعها، وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بالنفوس، فلهذا أنزل أشرف الكتب بأشرف اللّغات...»[1]. ويقول الله تبارك وتعالى في وصف كتابه العزيز:﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً ﴾[2]. ولطالما دعا السّلف الصّالح بالحفاظ على اللّغة العربيّة وتعليمها للنّشء حتّى تتأصّل جذورها فيهم ويُؤدّبونهم على عدم اللّحن فيها، لأنّها من أهمّ مقوّمات الحضارة الإسلاميّة.

يقول شيخ الإسلام "ابن تيمية" حول ضرورة الحفاظ على اللّغة العربيّة وتلقينها للأطفال: «إنّما الطّريق الحسن اعتياد الخطاب بالعربيّة، حتّى يتلقّنها الصّغار في المكاتب وفي الدّور، فيظهر شعار الإسلام وأهله، ويكون ذلك أسهل على أهل الإسلام في فقه معاني الكِتَاب والسُنَّة وكلام السّلف، بخلاف من اعتاد لغة ثمّ أراد أن ينتقل إلى أخرى فإنّ يصعب»[3]. وقد أكّد أيضاً على مدى تأثيرِ التعوُّد على اللّغة في العقل والخلق والدّين؛ «واعلم أنّ اعتياد اللّغة يؤثّر في العقل والخلق والدّين تأثيرا

[1]/ محمّد بن صالح العثيمين، «شرح ألفية ابن مالك _ في النحو والصرف _»، دار الغد الجديد، القاهرة/مصر، ط1، 2013م، ص5.

[2]/ سورة يوسف، الآية: 02.

[3]/ ابن تيمية، «اقتضاء الصّراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم»، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، لبنان، المجلّد 1، ط7، 1419هـ/ 1999م، ص 999

قويّا بيّنا»[1]. وبناءً على هذا، لعِب الشّعر دور المحافظ على اللغة، وقد أشار النّقاد القدامى إلى «دور الشّعر في حفظ اللّغة من الضّياع وإثرائها، لأنّ الشّعر كان وعاء للّغة ومستودعها»[2] إذ إنّ الشّعر وقتئذ كان بمثابة البئر العميق الّذي يحفظ لهذه اللّغة قيمتها ومعانيها الفصيحة، «فهو مادّة أساسية في تعليم اللّغة وتنمية الملكة البلاغيّة وتفصيح اللّسان»[3].

ولم يقتصر دور الشّعر في حفظ اللّغة العربية فحسب، بل يتجاوز ذلك إلى تقويم النّفس. و«لقد كانت الغاية من الشِّعر إصلاحية إرشادية للنّفس لتقويمها وتهذيب سلوكها، ممّا يجعل الشّعر مادّة تربويّة تعليمية هامّة»[4]، إذ ترتّب عليه إصلاح ما فسد من الأخلاق وإرشاد النّفوس إلى السّبيل القويم وتهذيب سلوك أفراد المجتمع إن انحرفت طبائعهم أو مالت عن الطّريق الصّحيح، وكما هو الحال في الشّعر من إصلاح وإرشاد هو سبيل للتّربية والتعليم الّذي لا يمكن أن يكون الإنسان دونهما إنسانا.

إنّ من شعر المعلّقات ما يدعو المرء إلى إصلاح النّفس وتقويمها، يقول "عُبَيْد بن الأبْرَص":

الدّعاء:

مَنْ يَسْأَلِ النَّاسَ يَحْرِمُوهُ وَسَائِلُ اللهِ لاَ يَخِيبُ[5]

وفي قوله، يقصد من يبسط كفّه للنّاس طالباً إعانة منهم أو مساعدة أكيد سيلاقي من يصدّه ويخذله، أمّا من دعا الله وتوكّل عليه فلن يعود فارغ اليدين، لأنّ الذلّ لله رفعة وعزّ، فهو الغنيّ المغْنِي

[1]/ المرجع السّابق، ص 1000.

[5]/ ينظر، أبو أحمد العسكريّ، «المصون في الأدب»، تحقيق: عبد القيّوم هارون، (دون ذكر دار الطّبع)، الكويت، 1960م، ص137.

[3]/ المرجع نفسه، ص137.

[4]/ المظفر العلويّ، «نضرة الإغريض في نصرة القريض»، تحقيق: عارف فهمي، مجمع اللّغة العربية، سوريا، 1976م، ص375.

[5]/ أحمد أمين الشّنقيطي، «المعلّقات العشر وأخبار شعرائها»، مكتبة المعارف، لبنان، ط1، 2005م، ص155.

الذي لا يُسأَل غيره، فهو المرتَجَى الذي يلوذ إليه العبد في السّراء والضرّاء، في الفرح والقرح، وفي المسرّة والمضرّة...

ويقول في موضع آخر:

الإيمان بالله:

بِالله يُدْرَكُ كُـلُّ خَيْرٍ وَالقَوْلُ فِي بَعْضِهِ تَلْغِيبُ

وَالله لَيْسَ لَهُ شَرِيكٌ عَلاَّمُ مَا أَخْفَتِ القُلُوبُ[1]

إنّ الصّورة التي يودّ الشّاعر تقريبها للمتلقّي عبارة عن رسالة تربوية دينيّة، والقصد منه؛ أنّ الله الواحد الأحد الذي ليس كمثله أحد يعلم خائنة الأعين ويعلم سرّ وعلانية العبد، فبعدما كانت النّاس تفنّد وجود الله وجعلوا معه أنداداً، أقرّ في سياق كلامه بوحدانيّة الله وعلمه الذي شَمِل كلّ شيء دون استثناء.

لم يقتصِر الشعر على الهِجاء والرّثاء والغزل...وإنما تعدّى ذلك إلى احتواء اللغة بكل مَعانيها وألفاظها كونها أوسع لغات العالم وأفصحِها، لهذا رأَوْا في الشّعر ضرورة لحماية هذا الكنز الذي حبانا الله به وفضّلنا به عن سائر عباده.

في مواضع شتّى، هناك من الشّعر ما هو نصيحة وتوجيه وبمنزلة الوصية، تقول "سبيعة بنت الأحب بن عيلان" لابنها "خالد" معظّمة عليه حرمة مكّة، ناهية إيّاه عن البغي فيها:

مكّة بيت الله الحرام:

أَبُنَيَّ لاَ تَظْلِمْ بِمَكَّـــــةَ لاَ الصَّغِيرَ وَلاَ الكَبِير

[1]/ المرجع السّابق، ص155.

وَاحْفَظْ مَحَارِمَهَا بُنَـــ ـــيَّ وَلاَ يَغُـــرَّنَّكَ الغَرُور

أَبُنَيَّ مَنْ يَظْلِمْ بِمَكَّـــ ـــةَ يَلْقَ أَطْـرَافَ الشُّرُور

أَبُنَيَّ قَـــــدْ جَرَّبْتُهَا فَوَجَدْت ظَالِمَهَا يَبُـــور[1]

إنّ الشّعر لا يؤدّي دوره بشكل كامل، إلاّ إذا توافر على صدق المشاعر والعاطفة الجيّاشة والتّعبير الصّادق، لأنّ الكلام إن خرج من القلب حتماً سيصل إلى القلب، ولهذا يعتمد تأثّر المتلقّي على صدق التّعبير والعاطفة الّتي يتلقّاها بمجرّد احتكاكه بالعمل الإبداعي. فالطّفل أكثر ما يُؤثِّر فيه؛ من القول الموزون هو الموسيقى التي يكون لها وَقْعٌ في نفسه مدة من الزّمن، فيحفظ ما قرأه ويحاول تجسيده في أفعاله وغرسه في أخلاقه.

يقول "محمد العيد آل خليفة" واعظا أبناء هذه الأمّة مبيّنا لَهُم طريق التوحّد والتّآخي لأنّ الاعتصام بالأخوّة في الدّين يولّد التّجاذب والقوّة ولأنّ التّفرقة سبب من أسباب هدم الحضارة يدعوهم إلى وضع اليد في اليد لتزيد القوّة، فيعلى شأن الأمّة ويعود ماضيها المجيد:

الأخوّة:

يَا بَنِي الشَّرْقِ عِصْـــــمَةً بِالتَّآخِي فَالتَّـــــآخِي مَذَّبَـــــــةٌ لِلنُّفُور

حَكِّمُوا الدِّينَ فِي الطَّوَائِفِ وَابْنُـــوا دُورَكُمْ بِالرِّجَـــــالِ لاَ بِالصُّخُور

يَا بَنِي الشَّرْقِ زَاوِلُوا العِلْـــــمَ حَيًّا وَدَعُونَا مِنْ نَبْشِ مَـــا فِي القُبُور[2]

[1]/ ابن هشام، «السّيرة النّبويّة»، تحقيق: جودة محمّد جودة، دار ابن الهيثم، مصر، ج1، ط1، 1427هـ/ 2006م، ص20.

[2]محمد العيد آل خليفة، «ديوان محمد العيد آل خليفة»، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، 1387هـ/1966م، ص602.

هذا القول يرسخ في الأذهان ويثبّت العزائم ويحيي غيرة النّاس على دينهم، فالمتلقّي _بمجرّد ما يقرأ هذه الأبيات_ يشعر بتقصير نحو دينه والعلم الّذي فرّط في حقّه وقد أوصاه به دينه الحنيف الإسلام.

ويدعو الشاعر "محمد العيد" في موضع آخر إلى نبذ الفساد والقضاء على كل أشكاله والطرق التي تَجْرِفُ إليه:

التناصح:

وَمِـنَ الشَّرْقِ أُمَّةٌ غَلَبَ الصَّـمْتُ عَلَيْهَا فَعَـــــــــمَّ فِيهَا الْفَسَاد

سَـــادَ فِيهَا الهَـوَى وَلَوْ لَم تُفَرِّط فِي التَّوَاصِي لَسَادَ فِيهَا السَّـــدَاد[1]

والقصد من قوله: عندما عمَّ الصمت وقَلَّ النصح بالحق والتواصي ساد فيما بين الناس الفساد فكان الفساد مجلبة للفرقة والتفرقة. وأغلب قصائد محمد العيد آل خليفة تحث النشء وتنفعه على إصلاح الضائع من القيم الخلقية، في الوقت ذاته ينفر من السلوكات البذيئة ويحب السلوكات الحسنة التي من شأنها أن تقود الممتثل لها على الطريق القويم الذي يرى منه نورا لمستقبله ونجاحه الذي هو نجاح للأمة جمعاء.

لقد ركّز أغلب الشّعراء على الأخذ بيد البرعم الصّغير إلى برّ الأمان وإعطاءه السّلاح لحماية نفسه من مُباغتَات الحياة، مُرشِدًا إيّاه بطريقة غير مباشرة وكأنّه يخاطب شَخْصاً واعيا مُدرِكاً ما يَحْدُثُ لأمّته. فالشّعر حمل شعار مسؤوليَّته لإِكْسَابِ الفرد القيم والأخلاق التي أمست ضائعة من أمّة جاء رسولها من أجل إذكائها في نفوس البشريّة بعامّة والأمّة الإسلامية بخاصّة، والتي بفضلها هناك معناً لوجوده وإنسانيّته.

[1]/ المصدر السابق، ص112.

المبحث الثاني: مميّزات شعر الطّفولة الجزائريّ:

إنّ لكلّ لون أدبيّ خصائص تصنع له التّفرّد والتميّز، لذلك الشّعر الطّفوليّ له قوانين تتحكّم في صحّته وسلامته لأنّه _دون غيره_ مخصّص لفئة حسّاسة في المجتمع. إنّ التّأليف الإبداعيّ الشّعريّ للطّفل، لا بدّ له من أن يكتسي طابع الجدّية والمسؤولية، وأن يكون سبيلاً للمبادئِ والأخلاقِ والقيمِ، وزرع الخير والأمل والسّرور.

إنّ الحديث عن المميّزات والخصائص حديث عن الموضوعات التي يعالجها الشّعراء في شعرهم الموجّه للطّفولة، لهذا أوّل ما اتّجه نحوه هؤلاء الشّعراء الجزائريّون في شعرهم، الموضوع الدّيني: محبّة الله ورسوله والتمسّك بالدّين الإسلامي. يقول الشّاعر "محمّد ناصر" في قصيدته "إلهي":

ربّي الله:

فِي سُكُونِ اللَّيْلِ فِي الموْجِ سَمِــعْتُك أَنَا فِي الخَوْفِ وَفِي الأَمْنِ وَجَدْتُك

أَنَا فِي الإِخْفَاقِ وَفِي النُّجْحِ رَأَيْتُك فَسَبَّقْتُ الدَّمْــعَ لُطْفاً إِذْ دَعَوْتُك[1]

فيرشد الشّاعر _في مضمون قصيدته_ الطّفل إلى أنّ الله هو من يلوذ إليه المحتاج ويلجأ إليه المضطرّ، فبالله يكون النّجاح والتوفيق والسّداد. الله هو ربّ كلّ شيء؛ الكلّ يلتجئ إليه لأنّ لا كاشف للغمّ إلاّ هو ولا غافر للذّنب إلاّ هو، وهنا يحاول الشّاعر من خلال هذه الأبيات أن يوضّح للطّفل يقين وجود الله من خلال الألفاظ المستعمَلة ومنها؛ الدّعاء. وحينما تحدّث على لسان الطّفل زاد من جماليّة التّعبير وصدقه، ففي صوت موج البحر جعله يدرك قدرة الله وحكمة خلقه، وفي هول الخوف يجد الله السَّلاَم الذي يعطيه القوّة لتجاوز المخاوف وفي النّجاح يرى قدرة الله على توفيق

[1] / محمد ناصر، «البراعم النديّة»، ص3. نقلاً عن: محمد مرتاض، «الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري»، دار هومه، الجزائر، 2015م، ص18.

عباده لما يحبّه ويرى رضاه عنه، ثمّ يبيّن له أنّ التذلّل والإقرار بالضّعف لا يكون إلاّ بين يدي القويّ المتين، بالبكاء والاعتراف بالحاجة للخالق القادر على كلّ شيء.

ويتحدّث الشّاعر "يحي مسعودي" عن فضل الرّسول صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّم في النّعمة التي ننعم بها اليوم رسالة الإسلام؛ الدّين الّذي لا يُقبل غيره عند الله يوم الميعاد، قائلاً:

الرسول صلّى الله عليه وسلّم:

مَــنْ بِالعُلُومِ جَاءَنَا

مَنْ بِالإِيمَانِ جَاءَنَا

وَدِينُهُ الحَنِيـــــــفُ[1]

وحتّى يتمسّك العبد ويَثْبَتَ على دينه حقّ الثبات، لا بدّ له من الالتزام بأعمال تزيد من قوّة إيمانه والقيام بها بلا عجز أو كسل، حتّى لا تزلّ قدمه وينحرف عن الطريق السويّ، ومنها: عمارة المساجد لإرضاء الله الكريم. يقول الله تبارك وتعالى في مُحْكَمِ تنزيله:﴿ **إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ الله مَنْ آمَنَ بِالله وَاليَوْمَ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَّخْشَ إِلاَّ اللهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُواْ مِنَ المُهْتَدِينَ** ۝ ﴾*أي أنّ المؤمنين بالله والتّقاة هم من يرتادون ويعمرون المساجد ويداومون على الصّلاة فيه جماعة ابتغاء مرضاته تعالى، وأنّه يهدي من يخشاه إلى سواء السّبيل. فالإيمان بالله والتّحلّق بالأخلاق الحميدة له جزاء الحسنى،﴿ **وَالمُؤْمِنُونَ وَالمُؤْمِنَاتِ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ الله وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ الله إِنَّ الله عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ۝ **وَعَدَ الله المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ الله أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ**

[1]/ يحي مسعودي، «حديث الفصول»، ص8. محمد مرتاض، «الموضوعاتيّة في شعر الطّفولة الجزائري»، ص19.

*سورة التوبة، الآية: 18.

﴿ ﴾*. ويُؤكّد الله عزّ وجلّ في محكم تنزيله أنّ الرّحمة والرّضوان والفوز بالجنّة نصيب لمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويقيم الصّلاة ويؤتي زكاة ماله ويطيع الله خالقه ويتّبع سنّة نبيّه الكريم.

لقد كان المسجد هو المدرسة الأولى التي تُخرِّج أمهر الحفظة وأجلّ العلماء وفقهاء ورجالات الدّين والفكر، لأنّ رسالته لم تقتصر على التّعليم فقط؛ وإنّما تكوين رجال يُعتدُّ بهم ويُعتمد عليهم في كلّ أمر. يقول الشّاعر "مصطفى الغماري" في قصيدة على لسان المسجد:

المسجد:

أَنَا مَصْنَعُ الفِكْرِ مَهْدُ الأَدَبْ

وَأَسْرَارُ مَنْ يَصْنَعُونَ العَجَبْ

بِمَنْبَرِي الحُــرُّ كَمْ مِنْ خَطِيبْ

أَنَارَ الظَّلاَمَ وَجَــلَّى الكُرَبْ[1]

ومهمّة المسجد تتجاوز التّعليم لتهدف إلى غرس بذور الخير والدّعوة إليه والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، فتطبيق تعاليم الإسلام يتماشى والسّموّ الأخلاقي والقيم والمبادئ العليا السّمحة. وهذه الموضوعات التي تندرج تحت لواء الدّين تناولها الشّعراء قصد ترسيخ القيم الدّينيّة في نفوس النّشء وتبيان قيمة وجماليّة هذا الدّين الذي يعتمد في أساسه على المنطق السّليم.

ومن الإيمان "حبّ الوطن" الذي هو الأمّ الثّانية، هو أرض الأجداد والآباء. فحبّ الوطن يسكن القلب ويتملّكه فإذا فارقه المرء لعِلم أو عمل حنّ إليه واشتاق لربوعه، لأنّ حال الوطن كحال الأمّ الّتي تربّي وتعتني فعندما يكبر صغارها ومهما ابتعدوا عنها فإنّهم يشتاقون العودة إلى أحضانها.

* سورة التوبة، الآيتان: 71_72.

[1]/ مصطفى الغماري، «الفرحة الخضراء»، ص39. نقلاً عن: محمد مرتاض، «الموضوعاتيّة في شعر الطّفولة الجزائريّ»، ص20.

يقول "مسعد زيّاد" في قصيدة تحت عنوان "أجمل الأوطان":

الوطن:

وَطَـــنِي لَأَنْتَ الرَّوْضَةُ الخَضْرَاءُ مِنْ جَنَّاتِ رَبِّي

فِيكَ القَدَاسَةُ وَالطَّهَارَةُ إِنَّهَا زَادِي وَحُـــــبِّي

فِيكَ المَـــحَبَّةُ وَالبَسَاطَةُ شَمْعَتَـــــانِ تُنِيرُ دَرْبِي

فِيكَ المـــــوَدَّةُ وَالرِّضَى مَغْرُوسَتَانِ بِعُمْقِ قَلْبِي

وَطَـــــنِي رَبِيعٌ دَائِـــمٌ فِي ظِـلِّهِ نَسْعَى وَنَلْهُو

نَجْنِي الوُرُودَ مِنَ الخَمَائِلِ كَـــالفَرَاشِ إِلَيْهِ نَهْفُو[1]

فالشّاعر هنا شبّه الوطن بالرّوضة، وأنّه نعمةٌ من الله منَّ بها على عباده، وركّز على بثّ بعض الأخلاق التي يجب أن تسود بين أبناء الوطن الواحد، المحبّة والبساطة (أي التّواضع) والمودّة والرّضا بحال الوطن مهما اعترته النّوائب، وعدم تفضيل الأوطان الأخرى عليه مهما بلغ أمره.

ومن أناشيد الثّورة الجزائريّة التي تمتاز بروح التّضحية والوفاء للوطن، وتغرس روح الوطنيّة في نشئها الصّاعد، ليُدرِك الطّفل مدى المعاناة الّتي مرّ بها الشّبان إبّان الثّورة التّحريريّة وفضلهم بعد الله في استعادة الحريّة والاستقلال، والتّركيز على فكرة بذل النّفس والنّفيس في سبيل الوطن:

الوطن والوطنية:

يَا أُمِّـــي لاَ تَبْكِي عَلَيَّ وَلَدُكِ مُجَنَّدٌ فِي الـــوَطَنِيَّةِ

حُبُّ الجَزَائِرِ وَاجِبٌ عَلَيَّ رُوحِي وَمَـــالِي لِلْوَطَنِيَّةِ

[1]/ مسعد زياد، «أشعار من ذاكرة الوطن»،

يَا أُمِّـــي لاَ تَبْكِي عَلَيَّ وَلَدُكِ مُضَحٍّ عَلَى الحُرِّيَّة[1]

ولكن نادراً ما يوجد شاعر يعطي هذا النّوع من الشّعر حقّه إلاَّ قلّة منهم، لهذا اجتهدت هذه الجماعة لزرع بذور حبّ الوطن وتخليد بطولات المجاهدين والشّهداء، حتّى يتلقّاها الأطفال ويسجّلوها في أذهانهم ولا ينسوها.

يقول الشّاعر "الغماري" عن شهر اندلاع الثّورة التّحريريّة شهر "نوفمبر":

الثورة التحريرية الجزائرية:

نُوفَمْبَرُ الأَخْضَرُ يَا حُبَّنَا الأَكْبَرُ

يَا أَلْفَ قَافِيَـــة مِنْ جُرْحِنَا تُزْهِرُ[2]

وهناك أشهر الدّواوين لأشهر شعراء الطّفولة الجزائريّين؛ الرّباعي (الغماري، ناصر، حرز الله، مسعودي)، وقد وردت القصائد التي تدور حول هذا المحور في دواوينهم مرتّبة حسب الصّفحات كالآتي:[3]

الدّيوان	صاحب الدّيوان	عنوان القصيدة	رقم الصّفحة
البراعم النّديّة	محمّد ناصر	علمي	7
نسمات	يحي مسعودي	يا موطني	24
		فاتح نوفمبر	27
		أوبريت الأعياد الوطنية	39

/ينظر، من أناشيد الثّورة التّحريريّة الجزائريّة، من كتاب: السّنة الرّابعة ابتدائي، الدّيوان الوطنيّ للمطبوعات المدرسيّة، الجزائر، ط1، 2017م/2018م، ص55.[1]

/ مصطفى الغماري، «أغنيات الورد والنار»، ص197.نقلاً عن: سهام زيتوني، «جمالية الخطاب الشعري في شعر مصطفى الغماري»، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الأدب العربيّ، جامعة "محمد بوضياف"_المسيلة_ 2017م/2018م، ص128.[1]

/ ينظر، محمد مرتاض، «الموضوعاتية في شعر الطّفولة الجزائري»، دار هومه، الجزائر، 2015م، ص22.[3]

حديث الفصول	بوزيد حرز الله	حلم الأوراس	5
		الانتصار	8
		علّمتني بلادي	10
		رايتي	33
		لك القلب بلادي	51
الفرحة الخضراء	مصطفى الغماري	أغنية للشّهداء	4
		باسم الجزائر	6
		نثور نثور	8
		جزائر يا أمّنا	10
		المجد للجزائر	14
		عشّاق البيضاء	17
		يا أمّ الثّورة	25
		محبّة الأوطان	36
		بلادي	48
		بني الأحرار	43
		هات البشائر	45
		الأمير المجاهد	51

ومن خلال القصائد المذكورة آنفاً، تبرز الرّوح الوطنيّة التي يودّ أفذاذ الجزائر غرسها في أشبال الأمّة قادة الوطن إلى الأمان، إذ إنّهم لم يبخلوا على ناشئة هذا الجيل بتخليد مآثر الشّهداء أبطال الجزائر الأحرار رمز الحريّة والاستقلال والوفاء للوطن الغالي.

ومن الموضوعات التي عالجها شعراء الجزائر "الطبيعة" بكلّ ما ينضوي تحتها من زهور طيور وأشجار وفصول، وحتّى ينجحوا في غرس حبّ الطّبيعة في النّشء كان لزاما عليهم أن يتغنّوا بجمالها وحسن منظرها حتّى يقتدوا بهم في الحفاظ على الطّبيعة التي هي جزء من وجود الإنسان وعامل أساس في استمراريّة عيشه وحياته.

لهذا خصّص الرّباعيّ (ناصر_ مسعودي_ حرز الله_ الغماري) قصائد لا بأس بها في دواوينهم، وهي مدرجة في هذا الجدول كالتّالي:[1]

الديوان	صاحب الديوان	عنوان القصيدة	رقم الصّفحة
البراعم الندية	محمد ناصر	شجرتي الطيبة بين النخيل	22 25
الفرحة الخضراء	مصطفى الغماري	الطبيعة في بلادي مرحبا بالربيع زيتونة تتكلم	19 22 29
نسمات	يحي مسعودي	نسمة الربيع العصفور الصغير	13 33
حديث الفصول	بوزيد حرز الله	قريتي أغنية للشجرة	19 24

[1]/ ينظر، محمد مرتاض، «الموضوعاتيّة في شعر الطفولة الجزائري»، ص25

وبالنظر إلى هذه القصائد، تبرز محبتهم لجمال الطبيعة في بلادهم ومحاولتهم تحبيبها للأطفال الصّغار. يقول "محمّد ناصر" في قصيدة "بين النّخيل" هذه القصيدة التي اتّسمت بجوّ الرّبيع البهيج:

فصل الربيع:

والورد يميل مع النّسيم العليل بين النّخيل فوق الخميل[1]

ويقول "مصطفى الغماري" في قصيدة "الطّبيعة في بلادي"":

الطبيعة:

أطيـــــارها تغنّي في الرّوض ألف لحن

وزهـــرها البديع يزهو به الرّبيـــــــع

أنســامه اللّطيفة وروحه الخفيفـــــــة

تغدو مع الطّيور فرحانة بالنّـــــــور[2]

فقد جمع الشّاعر بين الثّلاثي (الطّير، الزّهر، النّسيم) ليعطي صورة بهيجة مفعمة بالحياة، فيشعر الطّفل غِبَّ قراءته بصوت النّسيم العليل ورائحة الزّهر الفوّاح وجمال زقزقة الطّير المسرور.

لقد تناول الشّعراء فيما سبق أهمّ المحاور التي تثبت القلوب على الدّين وتزيد من عزيمة المؤمن الصّغير من حبّ الله ومعرفة خلقه، ويليه الرّسول صلّى الله عليه وسلّم الذي جاء بدين الحقّ لينير حياتنا اليوم ويسهّل علينا الصّعب ويذلّله، وكذلك المسجد الذي يظلّ أولى مدارس العلم والعلماء فهو رمز للدّين القيّم والإيمان والوحدة الإسلاميّة. أمّا الطّبيعة فقد تناولها من منظور أنّها جزء لا يتجزأ من حياة الإنسان، فمنها خُلق ومنها يُخلَق رزقه؛ مأكله ومشربه...

[1]/ محمد ناصر، «البراعم الندية»، ص25. ينظر، محمد مرتاض، «الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري»، ص26.

[2]/ مصطفى الغماري، «الفرحة الخضراء»، ص19. نقلاً عن: محمد مرتاض، «الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري»، ص28.

وفي هذا السّياق، يستوجب تحبيب الطّفل الصّغير لمدرسته التي هي بيته الثّاني، فأغلب وقته يقضيه بين أرجائها. فلم يبخل هؤلاء الشّعراء عن البراعم بقصائد عن الجدّ والاجتهاد وعن اللّغة العربية التي هي أفصح اللّغات وأجملها. والقصائد الّتي ألّفوها عن هذا المحور هي على النّحو التّالي:[1]

الديوان	صاحب الديوان	عنوان القصيدة	رقم الصّفحة
نسمات	يحي مسعودي	سلاحنا بالعلم حوار بين المجتهد والكسول	5 46
البراعم الندية	محمد ناصر	مدرستي	16
الفرحة الخضراء	مصطفى الغماري	يا خير اللغات	53

وما يُستَنتَج من قراءة هذا الجدول، أنّ ديوان الشّاعر "بوزيد حرز الله" يخلو تماما من الحديث عن المدرسة، لهذا استشهدنا من قصائد الثّلاثي بعد ما كانت الموضوعات مُشتَرَكَة بين الرّباعي.

ومن الجميل الافتخار بأنّنا عرب "ولغة القرآن عربية، ولسان أهل الجنّة عربيّ"[2]، لهذا نجد الشّاعر "الغماري" يعتزّ كونه يتحدّث اللّغة العربية ويعبّر عن حبّه الدفّاق لها، قائلا:

أهواك يا خير اللّغات

وأعشق الضّد المـــبين[3]

فاللّغة العربية هي اللّغة الوحيدة في العالم التي تتميّز بخاصّية "حرف الضّاد" الحرف الّذي لا وجود له في اللّغات الأخرى، فكيف لا وهي لغة القرآن المعجِز المنزَّل من الله العظيم وحياً على

[1]/ ينظر، المرجع نفسه، ص29.

[2]/ ينظر، محمد مرتاض، «الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري»، دار هومه، الجزائر، 2015م، ص31.

[3]/ مصطفى الغماري، «الفرحة الخضراء»، ص53. نقلا عن: محمد مرتاض، «الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري»، ص31.

الرّسول الكريم. وهنا تجدر الإشارة إلى أنّ استعمال الشّاعر للفظتي "الهوى والعشق" دليل على الحبّ الكبير والافتخار بخير اللّغات؛ لغة حبانا الله بها عن سائر البشر وجعلها رمزا للحضارة والرّقيّ، فيقول:

اللغة العربية:

إنّ الحضـــارة ها هنا

الضّاد منطقها المبين[1]

إنّ الرّبط بين اللغة والحضارة زاد من جمالية القول الشّعري وقوّة التأثير في المتلقّي، حتّى يحافظ عليها ويفتخر بها دون اللّغات الأخرى، ويحاول تفصيح لسانه ليتجنّب اللّحن فيها، ويكون حاملا للواء العربية الفصحى.

وبالحديث عن المدرسة هناك قصّة شعرية اختارها الشّاعر "مسعودي" على لسان تلميذين؛ أحدها مجتهد مجدّ في دراسته لا يتوانى عن علمه ودروسه، والآخر خمول كسول همّه الوحيد أن يصول ويجول غير مهتم بدراسته أو واجباته المدرسية، يقول:

العلم:

وقت الدّراسة يقرب

هـــــــيّا لنقرأ درسا[2]

[1]/ مصطفى الغماري، «الفرحة الخضراء»، ص54. نقلا عن: محمد مرتاض، «الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري»، ص32.

[2]/ يحي مسعودي، «نسمات»، ص46. منقلاً عن: محمد مرتاض، «الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري»، ص32.

لكنّ الكسول يردّ قائلا:

قرّرت أن أبقى وحدي

أسير فـــــي كلّ شارع[1]

وهنا يحاول الكسول الخمول تشتيت تركيز المجتهد بلهوه وفراغه الذي يقضيه في التفاهات، ولكنّ في آخر القصيدة يحوّل الشّاعر القصّة الشعرية إلى مجراها الصحيح، فيندم التلميذ على فعلته وعلى تفريطه وتقصيره تجاه علمه الذي ينفعه وهو السلاح الذي يكون بمثابة درع واق له، ويقرّر الانضمام إلى صفوف العلم مع صديقه المجتهد ويعوّض ما فات.[2]

إنّ الموضوعات التي تطرّق إليها هؤلاء الشّعراء، كانت من صميم الواقع المعيش، فهي جهد لا يستهان به، ورغم قلّة الإنتاج وضآلته فإنّ ما اجتهدوا في تدوينه كان كافيا بالنّظر إلى حساسية الموضوعات التي عالجوها، لأنّ أهمّ ما يجب للإنسان تعلّمه في صغره هو دينه ومعرفته بخالقه ورسوله الذي حمل عبء نشر رسالة الإسلام، ووطنه الذي يعيش فيه، والطبيعة التي هي رفيقه الدّائم، ومدرسته التي هي بيته ومأمنه الثّاني الذي يضمن له النّجاح والتفوّق في المستقبل.

[1]/ ينظر، محمد مرتاض، «الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري»، ص33.

[2]/ ينظر المرجع نفسه، ص33.

الـخـاتـمة

الخاتمة

إنّ لكلّ بداية نهاية، ولكلّ مقدّمة خاتمة، ففي الختام نستخلص أهمّ النقاط الواردة في بحثنا الذي عالجنا قيمة الأخلاق والقيم والمبادئ السّليمة التي على المرء السّير وفقها وانتهاجها، وعلى هذا الأساس لن يضلّ المرء مادام على درب الهدى في طاعة الله مولانا وهدي الرسول نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم.

وكما الأخلاق واجبة ومهمة في سلوكيات الكبار لابدّ من توافرها في سلوكيات الصّغار كذلك، لهذا عزم بعض الأدباء على إذكاء هذه الصّفات الخلقية الحميدة في أدبهم –خصوصا نتاجهم الشّعري لما له من تأثير في نفس الطّفل الصّغير–حرصاً منهم على تلقينها بطريقة أدبية ترسخ في الأذهان.

وانطلاقا ممّا سبق ذكره آنفاً في هذا البحث المتواضع ارتأينا أن نستعرض نتائجه في شكل نقاطٍ علَى النَّحو الآتي:

- إنّ وجود أدب الأطفال قديم قدم الوجود الإنساني، فتعدّدت مفاهيمه من أديب إلى آخر إلاَّ أنّ المتّفق عليه هو أنّه النّتاج الفكري الموجّه للطّفولة باختلاف الأنواع (شعر، مسرحية، قصة).
- وكما للجسم نصيب من الغذاء، فللرّوح كذلك نصيب من غذاءها وغذاء الرّوح القيم والأخلاق التي تجمّلها وتزيّنها.
- إنّ الالتزام بالقيم يُكسِبُ المرءَ شخصيةً قويةً ويكون صاحبَ سلوكٍ سويٍّ على الدوام.
- الأُمَّة التي تجعل الاخلاق أساساً لها في تقدّمها تكون سائرةً في درب النّجاح والعكس صحيح، فالاستهتار بدور الأخلاق وأهميتها في إصلاح المجتمع يُؤدّي إلى الوقوع في الأخطاء والانحراف عن الطريق السويّ.

- إنّ الأسرة هي أوّل نقطة انطلاق لتعلّم القيم والأخلاق، فالطّفل يحاول محاكاة وتقليد ما يقوم به أهلُهُ من سلوكيات وهذا أمر بديهي لأنّه يقضي كلّ أوقاته في كنفِ عائلته مُحاطاً بعطفهم.
- إنّ طريقة الآباء في تربية أطفالهم لها دور كبير وتأثير على شخصية الطّفل فبالنّصح والإرشاد يكون التّعليم والتّوجيه لا بالعصبيّة والتّعنيف.
- إنّ الطّفل رجل الغد والمستقبل الزّاهر لا بدّ من الاعتناء به حقّ العناية لأنّ إهماله يؤدّي لا محالة إلى الانحراف في الحياة والعيش في جوٍّ تسوده الأخطاء والتّصرّفات القبيحة الّتي تؤذي شَخْصَه وغيرَه.
- من أسباب ضياع الأخلاق – أيضا –عامل التكنولوجيا والعصرنة الذي صارت فيه العائلة بعيدة عن بعضها فغاب الحوار واندثرت المشورة واضمحلّ تبادل الآراء وكذا المجالس التي تزيد من وعي عقل الكبير والصغير، فلم يعد شيء على حاله كما سبق.
- صار لزاماً على الأدباء بثّ بعض الصّفات الحميدة والأخلاق الرفيعة في أدبهم لتوجيه الصّغار في ظلّ غياب توجيهات العائلة، فلم يتركوا مجالاً إلاّ وطرقوه في أشعارهم.
- إنّ الهدف من القيم والأخلاق حسن السّلوك في كلّ نواحي الحياة، ولتحقيق هذه الغاية لا بدّ من تمكّنٍ في غربلة السلوكات ليختار الصّالح منها فيتّبعه، وينفر الطّالح فيهجره.
- إنّ الحياة المثالية هي الحياة التي يملؤُها أُناسٌ مثقّفون مهذّبون، كريمو الأخلاق.
- إذا كان الإنسان قابلاً للتّلقين والتعلُّم مادام حيّاً، فمن السّهل تكوين عادات حسنة وغرس خصال حميدة لتكوين أخلاق تتماشى وديننا الحنيف.
- إنّ للشّعر أهميّةً بالغة لا تقلّ عن أهمية الأنواع الأدبيّة الأخرى، بل هو أقواهم وقْعاً في النّفس وأقربهم إليها، فالشّعر ساهم في زيادة حساسية الأفكار والأمزجة والأذواق عند الأطفال.
- لقد كان للشّعر دوراً هاما في المحافظة على اللّغة من الضّياع، لقد كان بمثابة الوعاء الذي يحملها وقد تعدّى ذلك إلى إصلاح النّفس وتقويمها، وهنا ينتقل دور الشّعر من العلميّ اللغويّ إلى الإصلاحي الأخلاقي.

- ♦ إنّ الشّعر الجزائريّ الموجّه للطّفولة، له خاصية تميّزه من حيثُ موضوعاته التي يعالجها من موضوع الدّين إلى موضوع الوطن، الطّبيعة والعلم.
- ♦ أبرز شعراء الطّفولة الجزائريّين الذين أثروا هذا المجال (مصطفى الغماري، بوزيد حرز الله، يحي مسعودي، محمد ناصر) لقد مثّلوا هذا الأدب أحسن تمثيل بإثرائهم إياه بالموضوعات القيّمة الّتي تَهُمُّ الطّفل الصّغير وهي أوّل المبادئ التي لا بدّ له من التعرّف عليها.

وممّا لا شكّ فيه أنّ هذه الدّراسة رغم الجهد المبذول فيها ستظلّ بحاجة إلى الغوص فيها أكثر والتعمّق فيها للشّعور أكثر بقيمة هذه الأخلاق التي بات من الضّروريّ بثّها في شعر الأطفال نظراً لغياب روح المسؤولية في عصرنا الحالي حول التّربية الحقّة وانشغال أهل المسؤولية عن هذا الأمر دون النّظر إلى أهمية وقيمة هذه الأخلاق التّي يتَوَجَّبُ غرسها في نفوس الصّغار منذ أوّل وهلة يستوعبون فيها قوانين الحياة.

إذا تمعّنا ولو قليلاً في آفة هذا الزمان، لأدركنا أنّ عزوف الأطفال منذ الصّغر عن قراءة القرآن الكريم الذي هو نعمة في طلاقة اللّسان، والمطالعة التي تفتح عالماً آخر للأذهان سببه راجع إلى الإدمان والاهتمام المفرَط بالتكنولوجيا بشتّى أنواعها، أين هو دور الأولياء؟ أليس من واجبهم انتشال أبنائهم من هذه المتاهات المرعبة التي يصعب الخروج منها.

ولا بدّ من تكثيف الإنتاجات الأدبية التي تناسب كلّ أعمار الطفولة، وهذه ليست بالمهمّة الصّعبة بالنّسبة للشّعراء الفحول. وكذلك مد يد العون لمن يودّون التوجّه نحو هذا المجال القيّم. ويبدو لي أنّ أنجع حلّ لتطوير وتكثيف الجهود هو إدخال تخصص جديد في المنظومة التعليمية الجامعيّة ألا وهو تخصص: أدب الطّفل، ليس مقياسا وإنّما تخصّص قائم بذاته.

قائمة المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم (رواية حفص عن عاصم).

1. أحمد أمين الشّنقيطيّ، «المعلّقات العشر وأخبار شعرائها»، مكتبة المعارف، لبنان، ط1، 2005م.
2. أحمد أمين، «كتايب الأخلاق»، مطبعة دار الكتب المصرية، مصر، ط3، 1931م.
3. أحمد زلط، «أدب الطفولة بين كامل الكيلاني ومحمد الهراوي»، دار الفكر، مصر، 1994م.
4. أحمد سويلم، «ديوان الطّفل العربيّ»، الدّار الثّقافية للنّشر، مصر، 2016م.
5. أحمد شوقي، «الشوقيات»، دار العودة، لبنان، ج1، 1988م.
6. أحمد لطفي بركات، «في فلسفة التربيّة»، دار المريخ للنّشر، السعودية، 1986م.
7. أحمد مختار عمر، «معجم اللغة العربية المعاصرة»، عالم الكتب، مصر، المجلّد 1، 2008م.
8. أمل حمدي دكاك، «القصّة في مجلّات الأطفال»، الهيئة العامة السورية للكتّاب، سوريا، 2012م.
9. أنور الجندي، «مقدّمات العلوم والمناهج»، دار الأنصار، مصر، الجلّد 4، 1409هـ/ 1988م.
10. تقي الدين أبو العبّاس أحمد ابن تيمية، «اقتضاء الصّراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم»، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، لبنان، المجلّد 1، ط7، 1419هـ/ 1999م.
11. الجاحظ، «تهذيب الأخلاق»، دار الصّحابة للتّراث، مصر، 1410هـ/1989م.
12. الحسن بن عبد الله أبو أحمد العسكريّ، «المصون في الأدب»، تحقيق: عبد القيّوم هارون، د.ط، الكويت، 1960م.
13. حسين مخلوف، «كلمات القرآن تفسير وبيان»، مكتبة أيّوب، نيجيريا، 2000م.
14. خالد الخرّاز، «موسوعة الأخلاق»، مكتبة أهل الأثر للنّشر والتّوزيع، الكويت، ط1، 1430هـ/ 2009م.
15. الراغب الأصفهاني، «مفردات ألفاظ القرآن»، دار القلم، سوريا، د.ت

16. سمر روحي الفيصل، «أدب الأطفال وثقافتهم – قراءة نقدية–»، منشورات اتّحاد العرب، 1988م.

17. شرح النّوويّ، «صحيح مسلم»، دار الفكر للطّباعة والنّشر، لبنان، ج16، 1401هـ/ 1981م.

18. الطاهر بن عاشور، «التحرير والتنوير»، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، د.ت

19. طه عبد الرّحمن، «سؤال الأخلاق»، المركز الثّقافي العربيّ، المغرب، ط1، 2000م.

20. عبد الفتّاح أبو معال، «أدب الأطفال –دراسة وتطبيق–»، دار الشّروق للنّشر والتّوزيع، الأردن، ط2، 1988م.

21. عبد القادر عمر البغدادي، «خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب»، مكتبة الخانجي، مصر، ط4، الجزء 8، 1418هـ/ 1997م.

22. عبد اللطيف الصوفي، «فنّ القراءة أهميتها، مستوياتها، مهاراتها، أنواعها»، دار الفكر، سوريا، 2008م.

23. عبد الملك ابن هشام، «السّيرة النّبوية»، تحقيق: جوده محمد جوده، دار ابن الهيثم، مصر، ج1، ط1، 1427هـ/ 2006م.

24. عدنان بن سلمان الدريويش، «بناء القيم في الأنشطة الأسرية»، جمعية التنمية البشرية، السعودية، د.ت

25. على الحديدي، «في أدب الأطفال»، مكتبة الأنجلو المصريّة، مصر، ط4، 1988م.

26. على الوردي، «الأخلاق: الضّائع من الموارد الخلقية»، الفرات للنّشر والتّوزيع، لبنان، 2007م.

27. علي بن محمد أبي الفتح البُستي، «قصيدة الحكم»، تحقيق: عبد الفتّاح أبو غدّة، مكتبة المطبوعات الإسلاميّة، سوريا، ط1، 1984م.

28. الفيروزآبادي، «القاموس المحيط»، دار الفكر، لبنان، د.ت

29. مجدي وهبة/ كامل المهندس، «معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب»، مكتبة لبنان، لبنان، ط2، 1984م.

30. مجمع اللغة العربية، «المعجم الوسيط»، ط2، ج2، مصر، 1985م.

31. محمد العيد آل خليفة، «ديوان محمد العيد آل خليفة»، الشركة الوطنية للنّشر، الجزائر، 1387هـ/ 1966م.

32. محمد بسام ملص، «في أدب الأطفال _ رؤية الحاضر وبصيرة المستقبل»، كتاب الأمّة، قطر، العدد 109، رمضان 1426هـ/ 2005م.

33. محمد بن صالح العثيمين، «شرح ألفية بن مالك –في النحو والصرف-»، دار الغد الجديد، مصر، ط1، 2013م.

34. محمد بن محمد أبو حامد الغزالي، «إحياء علوم الدّين»، دار ابن حزم، لبنان، ط1، 1426هـ/2005م.

35. محمد بن مكرم بن علي ابن منظور، «لسان العرب»، دار صادر، لبنان، د.ت

36. محمد عبد الفتّاح الخطيب، «القيم الأخلاقية في الإسلام»، دار البصائر، مصر، 1432هـ/2011م.

37. محمد عطية الإبراشي، «روح التربية والتعليم»، دار إحياء الكتب العربية، مصر، ط1، 1966م.

38. محمد علي الرباوي، «عصافير الصّباح»، منشورات المشكاة، المغرب، ط1، 1987م.

39. محمد مرتاض، «الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري»، دار هومه، الجزائر، 2015م.

40. محمد مرتاض، «من قضايا أدب الأطفال _دراسة تاريخية فنية_»، دار هومه، الجزائر، 2015م.

41. مصطفى الصّاوي الجويني، «حول أدب الأطفال»، منشأة المعارف، مصر، 1977م.

42. مصطفى عبده، «فلسفة الأخلاق»، مكتبة مدبولي، مصر، ط2، 1999م.

43. المظفر العلويّ، «نضرة الإغريض في نصرة القريض»، تحقيق: فهمي عارف، مجمع اللغة العربية، سوريا، 1976م.

44. ميسون قصّاص، «واحة النّشيد»، منشورات وزارة الثّقافة، مديرية منشورات الطّفل، سوريا، 2009م.

المواقع الالكترونية:

1. أكرم البنّي، «جدل العلاقة بين الأخلاق والسّياسة»، مقال منشور في موقع الشّهاب، 2007م.

2. راغب السّرجاني، «الأخلاق والقيم في الحضارة الإسلامية»، www.rasoulallah.net

الكتب التعليميّة:

1. كتاب السّنة الرّابع ابتدائي، «من أناشيد الثّورة التّحريرية الجزائرية»، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر،2017م/2018م.

المراجع الأجنبية المعرّبة:

1. أليكس كاريل، «الإنسان ذلك المجهول»، تعريب: شفيق أسعد فريد، مكتبة المعارف، لبنان، 1939م.

الفهـــرس

شكر	
إهداء	
مقدمة.....	أ
مدخل: لمحة تعريفية بأدب الطفولة والقيم الخلقية	
الفصل الأوّل: أهمية القيم والأخلاق ودورها في تنمية الشخصية	
المبحث الأوّل: أهمية القيم والأخلاق.....	9
دور القيم وتأثيرها في الشّخصية.....	15
المبحث الثّاني: أنواع القيم المتضمّنة في شعر الأطفال.....	20
الفصل الثّاني: أهمية الشعر ودوره في اكتساب القيم والأخلاق	
المبحث الأوّل: أهميّة الشّعر.....	29
دور الشّعر.....	36
المبحث الثّاني: مميّزات شعر الطّفولة الجزائريّ.....	41
خاتمة.....	53
قائمة المصادر والمراجع.....	57
الفهرس.....	61

ملخص :

إنّ أدب الأطفال من أهمّ الإنتاجات الأدبية التي تستحقّ الاهتمام، لما له من تأثير بالغ على الطّفل وشخصيّته. لهذا أدب الأطفال أسهل وأوضح وسيلة لتعليم القيم والأخلاق للطّفل في مراحله العمريّة الأولى.

الكلمات المفتاحية: الأدب _ الطفل _ القيم _ الأخلاق.

Abstract :

Children's Literature was the important literary productions that deserve the intention because it has have a big effect for the child and his personality. Therefore, this literature is a clear and easy tool to educate the values and ethics to child from his first years.

key words :.literature_ child_ values_ ethics

Résumé:

La littérature des enfants parmi les productions littéraires importantes, qui mérite l'intention parce qu'il avait un extrême effet sur l'enfant et leur personnalité. Donc la littérature des enfants c'est une instrument plus facile et claire, pour éduquer les valeurs et morales pour l'enfant dans leurs premiers stades de la vie.

MOTS CLÉS:

Littérature_ L'enfant_ Valeurs_ Morales.